33

الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية

التعليم قبل المدرسي ومستقبل الأطفال في الكويت

قضية الأمس واليوم وغداً

الدكتور محمد جواد رضا

مشروع مبارك العبدالله المبارك الصباح
للدراسات العلمية الموسمية المتخصصة
تخرج هذه السلسلة بإشراف لجنة مكونة
من الذوات التالية أسماؤهم

د. حسن الإبراهيم (الرئيس)

أ. د. رجاء أبو علام
أ. د. محمد جواد رضا
أ. د. صلاح مراد
أ. د. بدر العمر
د. تغريد القدسي
د. يعقوب الحجي

يناير 2008

حقوق الطبع محفوظة

للجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية

ولا يجوز إعادة نشر أو اقتباس أية معلومة

من هذه الدراسة دون موافقة خطية من الجمعية

الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن اتجاهات

تتبناها الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية

تطلب هذه السلسلة من

الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية

ص.ب: 23928 الصفاة – الرمز البريدي: 13100 الكويت

تلفون: 4748479 – 4748387

فاكس: 4749381

e–mail: haa49@qualitynet.net

www.ksaac.org.kw

المحتويات

1 ـ مدخل: قضية الأمس واليوم وغداً	5
2 ـ القسم الأول : التوجه العالمي نحو التعليم قبل المدرسي والطفولة المبكرة	8
3 ـ القسم الثاني: الموجبات العلمية والتطبيقية لتعميم التعليم قبل المدرسي ورعاية الطفولة المبكرة	16
4 ـ القسم الثالث: التعليم قبل المدرسي ورعاية الطفولة المبكرة.. المشهد الكويتي	24
5 ـ القسم الرابع: مشروع وطني واحد ومسؤولية مقتسمة	35
6 ـ القسم الخامس: هندسة النشأة الأولى.....	41

مدخل

قضية الأمس واليوم وغداً

التعليم قبل المدرسي ورعاية الطفولة المبكرة في الكويت

- 1 -

عندما تحررت الكويت من الاحتلال عام 1991 وبدأت عملية إعادة البناء الوطني بادرت «الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية» إلى توجيه الوعي الوطني العام إلى أن بناء الكويت الجديدة لن يقوم على شيء كما ينبغي أن يقوم على إعادة ترصين القواعد التربوية التي أرساها دستور الكويت نفسه، وكانت العناية بالطفولة المبكرة والتعليم قبل المدرسي ركناً من أركانها. كانت الجمعية في تصديها لذلك محمولة على حافزين أحدهما من البحث العلمي في التربية العربية المعاصرة، والثاني من طلب المساواة في الحقوق والامتيازات التربوية لأطفال الكويت جميعاً من بنات وبنين.

أما البحث العلمي في التربية العربية المعاصرة فقد كان. وما زال. ينبه. كما يسجل الدكتور حسن الإبراهيم رئيس الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية إلى أن مصدر المعاناة في الواقع الإنساني للطفولة العربية كون هذه الطفولة قد كتب عليها:

«أن توجد في مجتمع متغير قلق لم يكتشف موقعه من حركة التاريخ الحديث.. مجتمع يعاني هو نفسه من إعضالات الأنسلاخ من وضع تاريخي قديم للدخول في وضع مكتسب جديد تدفعه إليه وتغمسه فيه موجة زاحفة من التبدل السريع والمستعار وما يصاحب ذلك من تحولات نفسية وأخلاقية في أنماط العلاقات الاجتماعية وما تفرضه من مواقف جديدة للراشدين نحو أجيالهم الجديدة الأمر الذي يفرض على العلاقة بين الكبار والصغار حالة من التوتر يقف الطفل منها في نقطة الشدّ stress point محتملة الانكسار. وإذا كانت معاناة الكبار مرجعها إلى التعلق بالرؤية التي ثبتوا فيها بحكم العمر ونوع الخبرة المتراكمة.. فإن معاناة الأطفال مرجعها إلى كونهم غير مكتملي الوجود وغير راشدي الوعي لذواتهم وللأشياء من حولهم وأن كثيراً من سلامة نشأتهم يعتمد بالضرورة على نوع المعونة التي يقدمها لهم الراشدون من حولهم. وإذا كان فاقد الشيء لا يعطيه فإن محنة الطفولة في المجتمع العربي المعاصر تكتسب درجة أكبر من التعقيد بحكم الوضع المترجرج الذي يمر به مجتمع الكبار نفسه إصطراع القوى المادية والأخلاقية فيه»[1].

---

1. الدكتور حسن الإبراهيم. مجتمع عتيق وأجيال قدرها المستقبل، ص 14 من كتاب (الطفل والمجتمع. دراسة في التنشئة الاجتماعية، الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية، الكويت 1993.

لقد فتح هذالكشف عن العلاقة المتوترة بين الطفولة والمجتمع أفقاً رحباً للجمعية تعمل فيه مـن أجل حماية أطفـال الكويت من مخاطر غيـاب الوعي عن حيوية مرحلـة الطفولة المبكرة.. غياباً (يبدد في الأطفال قدرات إيجابية اسـتودعها الله في كل فرد منهم ذكراً كان أو أنثى وأن هذا الهدر ما كان ليكون لو أن هذه الاشكالات كانت تخضـع للدراسة العلمية المنهجية) [2].

كان طلب المساواة في الحقوق والامتيازات التربوية مقصوداً لكل أطفال الكويت لتمكينهم مـن فرص التعليم قبل المدرسـي الذي هو الضابط الأسـاس لاحتمالات النجـاح أو العجز في مراحـل التعليـم الأعلى، وعلى هذا حـذّرت الجمعية من عواقب غياب العـدل التربوي الذي قد تتعرض له شرائح واسعة من أطفال الكويت.

عندما أصدرت الجمعية تقريرها النهائي عن دراستها الشمولية للتجربة التربوية الكويتية للحقبة 1961 ـ 1991 كان أبرز ما أكده التقرير أنه حتى عام 1985 (كان 47٪ فقط من أطفال الكويت يتمتعون بالتعليم قبل المدرسـي على حين أن 53٪ منهـم كانوا محرومين من هذا التعليم الذي لم يعد ترفاً بل أصبح ينظر إليه على أنه المرحلة التي يجب أن يبدأ فيها تطبيق العدالة التربوية وأنـه جزء لا يتجزأ من نظـام التعليم العام وأنه يجب أن يُوفّر للأطفـال المحتمل حرمانهم منه على النفقة العامة لتمكينهم من مجاراة أترابهم الأوفر حظاً في مراحل التعليم التالية)[3].

- 2 -

لمواجهة هذه التوقعات طالبت الجمعية بتمديد المرحلة الدنيا من نظام التعليم العام لتتسـع لثلاث سنوات مضافة هنَّ قوام التعليم قبل المدرسي محتجة بما أكده تقرير (السقطة والقيامة) مـن الفروق التحصيلية أكاديمياً ومـن الفجوات النمائية عقلياً ونفسـياً التي يجترحها تفاوت أطفـال الكويـت في التعليم قبل المدرسـي، فتفرق تفرقـة تعجيزية بين حظـوظ المتمتعين بهذا التعليم وبين حظوظ المحرومين منه ليس في تقدمهم الدراسـي وحسـب بل حتى في حياتهم العملية حين يكبرون ويصبحون راشدين مسؤولين اجتماعيـاً وسياسياً.

لقـد أكـدت البحوث الميدانيـة التي أجرتها الجمعيـة خطر التمييز ـ المقصـود أو العفوي ـ في فـرص التعليم قبل المدرسـي على مسـتقبل الأطفال الذيـن يحرمون منه لأن ذلـك يعني فيما يعنيـه تعطيل مبـدأ «تكافؤ الفرص» التربوية الذي كفله الدسـتور لكل أطفـال الكويت. إن مما يضاعـف مـن ضرر هذا التعطيل أنه يأتـي في زمن يتعاظم فيه اجماع علمـي عالمي على أن لا إمكانية لتحقق مبدأ تكافؤ الفرص إلا بالعناية بالتعليم قبل المدرسـي بمعناه الأوسع من حيث أن (تكافـؤ الفـرص) لـم يعد يعني مجـرد فتح أبواب المـدارس أمام المتعلمين وحسـب، بل هو أصبـح يعنـي بالإضافة إلـى ذلك ـ أو فوق ذلك ـ توفير الظروف المسـاعدة علـى تجويد نوعية التعلّم لكل المتعلمين وتمكينهم من الانتفاع به.

---

2. المرجع السابق نفسه

3. السقطة والقيامة ـ ص 27، الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية، الكويت 1994.

تحوّطاً من احتمال الاحتجاج بتعاظم الأعباء المالية على الدولة في حال الأخذ بـ «تعميم التعليم قبل المدرسي» راحت الجمعية تجادل بالقول إنه بإزاء المنافع الكبرى التي يحققها الأخذ بتعميم التعليم قبل المدرسي تكون الزيادة في الإنفاق التربوي مبررة تماماً وفي مستطاع الدولة أن تحمّل الأسر المقتدرة دفع كلفة التحاق أطفالها بهذه المرحلة ثم تقوم هي ـ الدولة ـ بحمل هذه الكلفة عن الأسر غير المقتدرة مالياً شريطة أن تكون هناك ضوابط دقيقة لتحديد القدرة المالية لأسر الأطفال وكيفية التوثق منها، وذلك تحرزاً من سوء استعمال هذا الحق الجديد وسيكون تحميل الأسر المقتدرة مالياً كلفة التحاق أطفالها بدور الحضانة ورياض الأطفال تجربة جيدة لدفع المواطنين إلى المشاركة في مسؤوليات تعليم أطفالهم تعليماً جيداً [4].

ـ 3 ـ

اليوم.. أربعة عشر عاماً بعد صدور «السقطة والقيامة» ما تزال قضية تعميم التعليم قبل المدرسي ورعاية الطفولة المبكرة قضية غير محسوبة في الكويت كما لا تزال المحاذير من هذا الوضع العائم على مستقبل أطفال الكويت قائمة. إن هذه الدراسة التي تقدمها الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية، تمثل إلتزام الجمعية غير المتزحزح بالعمل على إبقاء قضية تعميم التعليم قبل المدرسي ورعاية الطفولة المبكرة حية في الوجدان الوطني الكويتي لأنها قضية كل طفل كويتي وكل طفلة كويتية ولداً أو سوف يولدان للكويت ولأنها قضية كل عائلة كويتية تحرص على مستقبل أطفالها تربوياً ومن ثم فلاحهم في الحياة الراشدة، وفوق ذلك كله هي قضية الدولة الأولى في مجال التربية والتعليم أو هكذا ينبغي أن تكون.

ستعالج هذه الدراسة الحيثيات التعاهدية والعلمية للمطالبة بتعميم التعليم قبل المدرسي ورعاية الطفولة المبكرة في الكويت على أربعة أصعدة:

1. التوجه العالمي نحو التعليم قبل المدرسي وما يحمله من ملابسات بالنسبة للكويت.
2. المبررات العلمية والتطبيقية للمطالبة بتعميم التعليم قبل المدرسي في الكويت.
3. أوضاع التعليم قبل المدرسي في الكويت.
4. مبدأ الشراكة بين الدولة والشعب لتعميم التعليم قبل المدرسي في الكويت.

---

4. السقطة والقيامة ـ ص67.

القسم الأول

التوجه العالمي نحو التعليم قبل المدرسي والطفولة المبكرة

-1-

تصاقبَ مولد الاهتمام الدولي بالتعليم قبل المدرسي ورعاية الطفولة المبكرة مع خروج العالم من الحرب العالمية الأولى ولا يستبعد أن تكون معاناة الأطفال خلال الحرب وبسببها هي التي نبهت إلى حيوية هذه المرحلة في حياة الأفراد وفرص فلاحهم أو إخفاقهم فيها. كما تؤرخ الدكتورة مريم حسن الخليفة (فقد صدر في العام 1924 إعلان من خمس نقاط عما كان يسمى يومها «الاتحاد الدولي لحماية الأطفال» وقد عرف ذلك باسم «إعلان جنيف» الذي تبنته «عصبة الأمم» إثر صدوره ثم نقحته الأمم المتحدة ووسعت فيه عام 1948 فكان ذلك نواة «إعلان حقوق الطفل» الذي صدر عن جمعيتها العمومية في 30 نوفمبر 1959)[1].

كان تبني الأمم المتحدة لـ (إعلان حقوق الطفل THE DECLARATION OF THE RIGHTS OF THE CHILD) نقطة تحول تاريخية في التأسيس القانوني والأخلاقي لحقوق الأطفال على الرغم من أنه لم يكن ملزماً للدول الأعضاء في الأمم المتحدة وإن يكن قد أثبت وأكد بعض الحقوق الجوهرية للأطفال بما في ذلك توفير الرعاية الصحية والسكن والأمن الاجتماعي والتعليم والحماية من الأهمال والقسوة والاستغلال[2].

في سنة 1989 تبنت الجمعية العمومية للأمم المتحدة (العهد الدولي لحقوق الطفل) THE CONVENTION ON THE RIGHTS OF THE CHILD (CRC).

وقد قدّر له أن يصبح المعاهدة الدولية الأكثر نفاذاً في العالم لكونه ملزماً قانونياً ما جعله حافزاً لولادة مواثيق دولية أخرى تفصّل كيفية تحويل الالتزامات الدولية نحو حقوق الأطفال إلى تراتيب منظمة لنوال الأطفال ما اعترف لهم به من الحقوق فكان هناك (الميثاق الإفريقي AFRICAN CHARTER) حول حقوق الأطفال ورعايتهم عام 1990 ثم كان هناك (العهد الأوروبي حول تطبيق حقوق الأطفال THE EUROPEAN CONVENTION ON THE EXCERCISE OF CHILDREN RIGHTS) عام 1996.

قام (العهد الدولي لحقوق الطفل) على أربعة مبادئ رئيسية ومتعاضدة فيما بينها:

1. حق الحياة والصحة والنمو.

2. عدم التمييز بين الأطفال.

---

1 مريم حسن الخليفة. حقوق الطفل العربي بين النظرية والتطبيق، ص 446 من كتاب (الطفل والمجتمع) تحرير الدكتور محمد جواد رضا، الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية، الكويت، 1993.

2. المرجع السابق نفسه.

3. اعتبار المصالح الأفضل للأطفال عند وضع برامج رعاية الطفولة المبكرة والتعليم قبل المدرسي.

4. حق الأطفال في الاستماع إلى آرائهم في حاجاتهم[3].

نجم عن إقرار هذه المبادئ الأربعة تأكيد حق الطفل في حياة كريمة تكفل نماء الطفل عقلياً وعاطفياً، ومطالبة الدول المشاركة في (العهد) بوجوب إعطاء وجهات نظر الأطفال في ما يقدم لهم وما يحتاجونه وزناً كافياً وفقاً لأعمار الأطفال ودرجة نضجهم، كما شرع العهد في المادة الخامسة منه ضرورة توجيه الأطفال بأساليب متوافقة مع قدراتهم المتكشفة فيهم حين ممارسة حقوقهم. وفي (المادة 28) أكد (العهد) حقوقاً تربوية ثابتة للأطفال في مقدمتها حقهم في تعليم ابتدائي إلزامي ومجاني متوفر للجميع. ولم يهمل (العهد) حاجة أولياء الأمور من الآباء والأمهات والأوصياء القانونيين على الأطفال إلى المساعدة في توفير الخدمات التربوية والإمكانيات المادية لأداء مهامهم في تنشئة الأطفال على الوجه الأمثل وخص بهذا الاستحقاق الآباء والأمهات العاملين والعاملات[4].

- 2 -

وإذ تم تثبيت حقوق واضحة ومعترف بها قانونياً للأطفال فقد تعين إلزام المؤسسة القانونية الأم في المجتمع - الدولة - بكفالة العمل ليس على تحقيق تلك الحقوق وحسب، وإنما بوجوب (تمكين) الأطفال من التمتع بالحقوق التي أصبحت مقررة لهم ضماناً لها من الضياع خلال الإجراءات التطبيقية. ومن هنا وبحكم نصوص العهد الدولي أصبحت الحكومات ملزمة بين أمور أخرى بما يلي:

1. أن تتبنى تشريعاتها الوطنية ما جاء به العهد من أنماط.. وإن تتخذ الخطوات التدريجية للقيام بالخدمات التي أوصى بها ميثاق (العهد) وذلك على أفضل قدر تستطيعه.

2. تقوم الدولة بطريقة منتظمة بنشر تقارير دورية توضح مدى مجاراتها لأحكام الميثاق.

3. على الدولة أن تسعى لطلب النصيحة الفنية والمعونة المادية من اليونيسف أو غيرها من أجهزة الأمم المتحدة ووكالات المعونة الدولية فيما يتعلق باحتياجات الطفولة ووسائل تلبيتها[5].

هكذا تميز (العهد الدولي) من غيره من إعلانات حقوق الأطفال بكونه (أول وثيقة في تاريخ العلاقات الدولية المعاصرة تفرض على الدول الإلزام القانوني بحقوق ترعاها للطفل

---

3 - المرجع السابق - ص 450.

4 - Unesco – Education for all Global Monitering Report – 2007.

5 - مريم حسن الخليفة - مرجع سابق ص 454، (1+2+3).

وتتقيد بها في شؤونه)[6].

لقد كان من بعض المعطيات التربوية لإثبات حقوق الطفولة خلق وعي عام بأهمية هذه الحقوق ليس لتحسين الظروف المعاشية والنمائية للأطفال فقط ولكن أيضاً بالنسبة لعملية التنمية الاجتماعية في المجتمعات التي اقتنعت بهذه الحقوق. ففي تنزانيا مثلاً بدأت في ديسمبر 1983 (تجربة إيرنجا) وكانت تهدف إلى تحسين صحة الأطفال بتحسين تغذيتهم (وتبين بعد خمس سنوات من تنفيذ التجربة أن سوء التغذية انخفض بنسبة 60٪ وأن وفيات الأطفال قلّت بنسبة 30٪)[7]. وفي (مالي) تبنت وزارة الصحة في عام 1987 (مبادرة باماكو) وكانت تهدف إلى تيسير الرعاية الصحية الدولية للأمهات والأطفال (لأن الطفل السليم والأسرة المترابطة هما عنصران أساسيان في التنمية البشرية والوطنية وعلى هذا تبنت المبادرة (برنامجاً لتطعيم الأطفال الرضّع نتج عنه توفير الحماية من الإصابة بالأمراض المقعِدة بنسبة 50٪ في الدول النامية)[8].

- 3 -

مع هذه التطورات في الوعي العالمي لأهمية الطفولة المبكرة في تشكيل حياة الطفل كان طبيعياً أن تستجيب الدول العربية لهذه التطورات، وعلى هذا صدر عن الأمانة العامة لجامعة الدول العربية في العام 1984 (ميثاق حقوق الطفل العربي) الذي أقر أربعة أنواع من الحقوق للأطفال العرب وطالب أن تكون هذه الحقوق محصنة بـ(الحماية التشريعية). أما الحقوق التي حصل الإقرار بها للأطفال فقد كانت تقع في ستة مجالات:

1. الرعاية والتنشئة الأسرية.
2. الأمن الاجتماعي والنشأة في صحة وعافية.
3. التعليم المجاني والتربية في مرحلتي ما قبل المدرسة والتعليم الأساسي.
4. الخدمات الاجتماعية المجتمعية والمؤسسية المتكاملة والمتوازنة في كل قطاعات الطفولة.
5. رعاية الدولة وحمايتها للأطفال من الاستغلال ومن الإهمال الجسماني والروحي.
6. أن ينفتح الأطفال العرب على العالم من حولهم وأن ينشَّأوا على حب خير الإنسان، ويدركوا أهمية السلام والصداقة بين الشعوب ومحبة إخوانهم في الإنسانية[9].

---

6. المرجع السابق ص 447.
7. المرجع السابق ص 456.
8. المرجع السابق ص 456.
9. المرجع السابق ص 459.

-4-

فـي (العهد الدولي لحقـوق الطفل) كما في (ميثـاق حقوق الطفل العربـي) كان طبيعياً أن تقـع المطالبـة بترجمة الحقوق المقننة للأطفال إلى سياسـات اجتماعية تحيـل الحق القانوني النظري إلى ممارسة عملية تمكّن الطفل من ممارسة هذا الحق والتمتع به فعلاً.

أخذت اليونيسـكو على عاتقها رسـم الطريق إلى وضـع السياسات الاجتماعية الحاضنة للحقوق التي اكتسبها الأطفال نظرياً في صياغة مفاهيمية متكاملة عنوانها:

رعاية الطفولة المبكرة

والتعليم قبل المدرسي Early Childhood Care and Education (ECCE)

وظيفيـاً تحـددت مسـؤوليات رعايـة الطفولـة المبكـرة والتعليـم قبـل المدرسـي بتوفيـر الاحتياجات المادية والضمانات القانونية والإدارية لحماية الأطفال من الموت المبكر ووقايتهم مـن احتمـالات السـقوط ضحايا للأمـراض أو الإعاقـات البدنيـة والعقلية المزمنة مثل شـلل الأطفال أو الظاهرة «المنغولية MONGOLISM».[١٥]

أما الوسـائل التي يتوسـل بها لتحقيق رعاية الطفولة المبكرة والتعليم قبل المدرسـي فهي تشتمل على:

١. توفير العناية الصحية والتطعيم ضد الأمراض المعدية والمعوّقة والطعام الجيد.

2. مساعدة الآباء والأمهات الجدد بتوفير المعلومات المتعلقة بالطفولة المبكرة واحتياجاتها لهم وتدريبهم في كيفية التعامل معها.

3. خلـق بيئـة آمنة للأطفال للعـب والتواصل مع الأطفال الآخرين ومشـاركتهم الألعاب والأنشطة الرياضية.

4. تعويض الأطفال المحرومين عن حرمانهم بنواحيه المختلفة.

5. تنميـة الاسـتعداد للالتحـاق بالمدرسـة وتهيئتهـم للتوافق مـع متطلبـات النجاح في المدارس الابتدائية.

6. توفير الرعاية الحمائية لأطفال الأمهات العاملات.

7. تقوية الروابط الاجتماعية على صعيد العوائل والجيران لتوفير بيئات حماية للأطفال وخلق شعور بالالتزام المشترك بتوفير الظروف الملائمة لنمو الأطفال[١١].

---

١٥. يقول قاموس (المورد) في تعريف المنغولية (بلاهة خلقية يكون الطفل المصاب بها عند ولادته منحرف العينين مسطح الجمجمة عريض اليدين قصير الأصابع.

١١. Unesco - Education for all Global Monitering Report, pp.15-16, 2007.

-5-

منـذ أن أقرت الدول الأعضاء في اليونيسـكو عـام 1990 (الإعلان العالمـي للتعليم للجميع) شـهد العالم. وما زال يشـهد. تنافسـاً دولياً نشـطاً في مجال التعليم قبل المدرسـي لاكتشاف قيمة إضافية فيه هي قيمته الإنمائية اجتماعياً واقتصادياً في حياة الأفراد، قيمة تعزز بدورها إمكانيات تقدمهم الاقتصادي والاجتماعي عندما يكبرون.

في إنجلترا بادرت الحكومة إلى تعديل «قانون التعليم الإلزامي» بحيث تبدأ إلزامية التعليم في السـنة الخامسة من العمر بدلاً من السنة السادسـة، وبهذا صار السلّم التعليمي الإلزامي البريطاني يتشكل على النحو التالي:

1. دور الحضانة ورياض الأطفال. متاحة لكل من يطلبها.

2. التعليم الابتدائي: 5-11 سنة من العمر.. ينظم على الشكل التالي:

5-7 سنوات Enfant

7-11 سنة Junior

3. التعليم الثانوي: 11-16 سنة من العمر.

****

في أوروبا عدلت قوانين التعليم العام لتجعل التعليم الإلزامي يشـمل كل الأطفال من أربع سـنوات فما فوق كما في لوكسـمبورغ وهولندا، وفي إسبانيا صار أكثر من (80٪) من أطفال العمر 4-5 سـنوات يلتحقون برياض الأطفال، أما في ألمانيا والدانمارك وإيطاليا فقد تجاوزت النسبة أكثر من (90٪).

عملياً، اليوم كل قطر من الأقطار الصناعية في العالم يقدم تعليماً قبل مدرسـي من نوعية راقية للأطفال بصرف النظر عن مسـتوى دخل العائلـة، ورافق تمديد الإلزام إلى التعليم قبل المدرسي اشتراط المساواة في (الجودة) في التعليم المقدم لكل الأطفال:

«زرت مؤخراً ثلاث رياض للأطفال داخل باريس وحولها. وعلى الرغم من أن الرياض الثلاث كانت في ثلاث مناطق سـكنية مختلفة اختلافاً جذرياً من الناحيتين الاجتماعية والاقتصادية فإنني لم أجد أي فرق بين الرياض الثلاث من حيث البناء والخدمات.
الرياض في مناطق الفقراء كانت تشـبه تماماً الرياض في مناطق الأغنياء وكان معلمو الريـاض ومعلماتهـا متكافئين في الإعـداد المهني وفـي الرواتب. اليوم في فرنسـا كل الأطفال من 3-5 سنوات من العمر يلتحقون ببرامج التعليم قبل المدرسي»(12).

---

12 - Merrow, J. Preschool Education In Three European Countries, USA Today, 17 July, 2002.

فـي الولايات المتحـدة الأمريكية أقدمـت الحكومة الفيدراليـة على توفيـر الإمكانات المالية لحكومات الولايات لنشـر إلزامية التعليم قبل المدرســي والارتقاء بمستوياته النوعية لجميع الأطفـال فـي المرحلـة العمريـة للتعليم قبل المدرسـي ومنـذ سـنة 1999 قفزت نسـب الأطفال المتمتعين بالتعليم قبل المدرســي من (67٪) إلى (76٪) علماً بأن مفهوم (التعليم قبل المدرســي) صار ينحصر إجمالاً بالتعليم في دور الحضانة. أما الالتحاق برياض الأطفال فقد صار يؤخذ مأخذ المُسلَّمات على أنه جزء من التعليم العام.

لقـد صــار هـذا الاهتمـام بالتعليم قبـل المدرســي يترجم عن نفســه بمؤشـرات معينة في الولايـات المتحدة، ففي العام 2003 مثلاً صارت رواتب معلمات رياض الأطفال تنافس رواتب معلمات المدارس الثانوية بسبب تكافؤ شروط الإعداد المهني عند الفريقين[13].

المؤشـر الآخـر على هذا الاهتمام المتزايد بالتعليم قبل المدرســي تمثـل بالاهتمام فيما يعلّم للأطفـال في هـذه المرحلة وكان برنامج: «العناية بتعليم المعـارف والفنون اللغوية في التعليم قبل المدرسي» واحداً من مظاهر العمل على الارتقاء بالمضمون التعليمي لهذه المرحلة. البرنامج يهدف إلى تحقيق المقاصد التالية:

1. الارتقاء بالمعارف والمهارات اللغوية التي يجب أن يتقنها الأطفال في رياض الأطفال.

2. هذه المعارف والمهارات تشمل القراءة. الكتابة. الاستماع. الكلام.

3. وضعت لاكتسـاب هذه المعارف والمهارات مقاييس للحدود الدنيا والعليا التي يجب أن يحققها الأطفال.

4. لهـذه القياسـات وظيفـة معينـة هي تمكـين راسـمي السياسـات التعليميـة والمعلمين والإداريـين التربويـين من تقرير أنـواع الفرص التعليمية التي يجـب توفيرها للأطفال في هذه المرحلة.

وكما هو الحال دائماً، ازدياد الاهتمام بالتعليم قبل المدرســي يعني زيادة في الإنفاق العام بما يجعله أولوية وطنية عليا. وهذا ما كان في الولايات المتحدة. فعندما صدر (قانون الأطفال The Child Act) سنة 2002، قامت الحكومة الفيدرالية بتخصيص مبلغ (11,25 مليار) دولار لتغطية تكاليف التعليم قبل المدرسي للفترة (2002 - 2007).

كان الاهتمـام المتعاظـم بالتعليـم قبل المدرســي فـي الولايات المتحـدة الأمريكيـة مدعوماً بدراسات ميدانية موسعة حول أثر التعليم قبل المدرسي في تعزيز فرص الارتقاء الاقتصادي والاجتماعي في حياة الأطفال حين يكبرون، وكان من بين أشـهر هذه الدراسـات، الدراستان التاليتان، الأولى:

13 - National Institute for Early Childhood Resources, Report 2004

Exceptional Returns

Economic Financial and Social Benefits of Investment In Early Childhood Development

صدرت هذه الدراسة سنة 2004 عن (معهد السياسة الاقتصادية Economic Policy Institute) وكان من بعض نتائجها أن العناية بالتعليم قبل المدرسي تعطي مردوداً اقتصادياً يقابل ثلاثة أضعاف ما ينفق عليها بمعنى أن كل دولار ينفق على التعليم قبل المدرسي يأتي بمردود اقتصادي على المجتمع قيمته ثلاثة دولارات.

كذلك برهنت الدراسة على أن الإنفاق على التعليم قبل المدرسي سيرتقي بالكفايات المهنية للعمال الأمريكيين مستقبلاً وسيزيد إجمالي الإنتاج المدني(GDP) ويخفض مستوى الفقر وسيزيد في القدرة التنافسية الاقتصادية للولايات المتحدة على النطاق الدولي.

أما الدراسة الثانية فقد صدرت عن مؤسسة Rand سنة 2005 وكانت تحت عنوان: Early Childhood Intervention Proven Results.. Future Promises يلاحظ أن تمويل كلتا الدراستين جاء من جهات مالية وصناعية أمريكية ما يؤكد. بين أمور أخرى. العلاقة بين الارتقاء بالتعليم قبل المدرسي وبين تعزيز القوة الاقتصادية للولايات المتحدة الأمريكية مستقبلاً.

لم يقتصر الانشغال الأمريكي بالجدوى التربوية والاقتصادية للتعليم قبل المدرسي ورعاية الطفولة المبكرة على هاتين الدراستين فقط، بل إن التنظيمات المهنية المختصة ومراكز البحث العلمي ما انفكت تواصل استقصاء نتائج الدرس المعمّق لهذه الجدوى ومحمولاتها الاقتصادية والاجتماعية. ففي العام 2003 قامت ثلاثة من التنظيمات العمالية الرئيسية في الولايات المتحدة الأمريكية بإصدار دراسة معمقة حول التعليم قبل المدرسي ورعاية الطفولة المبكرة وأثرها في تشكيل حياة الطبقة العاملة الأمريكية. الدراسة كانت باسم:

Where we Stand...

Early Childhood Education

أما التنظيمات العمالية الثلاثة فهي:

1. اتحاد العمال الأمريكيين American Federation of Labour (AFL).
2. مؤتمر المنظمات الصناعية Congress of Industrial organizations (CIO).
3. اتحاد المعلمين الأمريكيين American Federation of Teachers (AFT).

وفـي العام 2005 أصدرت مؤسسـة RAND للأبحاث دراسـة تربط بـين الاقتصاد وتعميم التعليم قبل المدرسي. الدراسة كانت بعنوان:

اقتصاديات الاستثمار في التعليم قبل المدرسي العام في كاليفورنيا

The Economics of Investing In Universal Preschool Education In California

- 6 -

هـذه الاهتمامات الأخلاقيـة والاقتصاديـة بالتعليم قبل المدرسـي ينبغي أن تحمل رسـالة خاصة لمجتمعات غنية مقتدرة مالياً وإنسانياً مثل الكويت وأن تحفزها إلى خوض هذا المجال التربوي الحيوي لمستقبل الدولة ومستقبل أجيالها في وقت واحد وذلك للأسباب التالية:

1. تثبيـت حق من حقـوق أطفال الكويت، حقوق مجمع عليها دولياً وقد اكتسـبت صفتها الشـرعية من (العهـد الدولي لحقوق الطفولـة) الصادر عن الأمم المتحـدة واعتمدته كل الدول الأعضاء في المنظمة بما فيها دولة الكويت.

2. مجاراة العالم المتقدم في العمل على تحقيق العدل التربوي الشامل للأطفال.

3. إن الأخـذ بتعميـم التعليـم قبل المدرسـي أو بإلزاميتـه يخلق ثقافة جديـدة في المجتمع الكويتي، ثقافة محورها وهدفها احترام الطفولة، وتعميق المعرفة باحتياجاتها النمائية بدنياً ونفسياً وعقلياً واجتماعياً.

4. التعليم قبل المدرسي يكفل توفير مصادر قوة للصناعة والاقتصاد في الدولة.

5. إنـه يوفـر فـرص عمـل كثيـرة للكويتيـات خريجـات كليـة التربيـة ومعاهـد المعلمين وغيرهن.

6. تعميم التعليم قبل المدرسـي ينشط الاقتصاد الوطني ويثري السوق المحلية بما يخلقه مـن حركـة اقتصاديـة تنجم عـن تأسـيس دور الحضانة ورياض الأطفال وتشـغيل كوادرها التعليمية والإدارية والخدماتية.

7. تعميم التعليم قبل المدرسـي يحقق المشـاركة المجتمعية في العملية التربوية بأسـلوب عملي يجعل منها طريقة عملية لاقتسـام المسؤولية التربوية بين الدولة وأفراد المجتمع في ضوء الاعتبارات الأساسية التالية:

أ. التعليـم قبل المدرسـي يجب أن يكون متاحاً وميسـراً. إن لم يكـن إلزامياً. لجميع الأطفال الكويتيين ذكوراً وإناثاً، بدواً وحضراً، ريفيين أو مدنيين.

ب. إذا أخـذ بمبدأ الإلزام فإن هذا الإلزام سـيغطي رياض الأطفال فقط في المراحل الأولى وهذا يجعله يتكامل مع مرحلة التعليم الإلزامي الأساسي.

القسم الثاني

الموجبات العلمية والتطبيقية

لتعميم التعليم قبل المدرسي ورعاية الطفولة المبكرة

- 1 -

إذا كان العالم المعاصر أعاد اكتشاف حقيقة أن (التعلم يبدأ منذ الولادة)[1] فقد كان للمسلمين الأقدمين وعي موثق بهذا المبدأ. ففي القرن الثالث الهجري قرر (إخوان الصفا) أن عملية التربية تبدأ قبل الولادة وتمتد منها لأن مزاج الطفل ونموه يتأثران بظروف الحمل وصحة الأم الحامل، ومن هنا فإن العناية بتربية الإنسان تبدأ به جنيناً (لأن مكث الجنين في الرحم تسعة أشهر إنما لكي تتم البنية وتستكمل الصورة.. وقد يعرف كل عاقل أن من يولد غير تام البنية ولا كامل الصورة لا ينتفع من هذه الدنيا.. وقد أوصى الأطباء الحوامل من النساء بالرفق بأنفسهن في حركتهن وتصرفاتهن باعتدال وبوسائط وبلا إفراط ولا تقصير كيما يسلم الجنين من الآفات العارضة هناك ويخرج الطفل سالماً إلى هذه الدنيا)[2].

من تقرير هذه الحقيقة البيولوجية خلص (إخوان الصفا) إلى تشديد التنبيه على ضرورة الحرص في تنشئة الطفل على سلامة نمو حواسه لأنها منافذ تواصله مع العالم الخارجي وهنّ أدوات تعامله معه، فأوجبوا على الآباء والأمهات والمربين والمعلمين أن يحيطوا علماً بطبيعة عمل هذه الحواس، وأن يعملوا بشروط نمائها السوي:

«واعلم أن فهم القراءة والكتابة ومعرفتها متأخرة عن الكلام والأقاويل وذلك أن الطفل إذا خرج من الرحم فإنه في الوقت نفسه والساعة تدرك حواسه محسوساتها.. فيحس بالقوة الذائقة طعم اللبن وبالقوة السامعة الأصوات وبالقوة الشامة الروائح ولكنه لا يعلم الكلام والأصوات إلا بعد حين. فأول شيء يحس باللمس فيتألم لأن حاسة اللمس أعم الحواس، ثم يحس بالطعم فيميز لبن أمه عن غيره.. ثم يميز الروائح.. ثم بين الصوت الشديد الجهر وبين الصوت الضعيف الخفيف. ثم يفرق بين الصور.. ثم شيئاً بعد شيء على التدرج. وعلى هذا المثال فهمّه ومعرفته بسائر الحواس إلى أن تتم سن التربية ويغلق باب الرضاع ويفتح الكلام والنطق ثم بعد ذلك تجيء أيام الكتابة والقراءة والآداب والصنائع والرياضيات»[3].

لقد أتم العلم الحديث ما بدأ استكشافه الأقدمون من مجاهل عملية التنشئة الأولى للإنسان وبخاصة التنشئة العضوية التي تتحكم في سيرورة تنشئة الإنسان كلاً، وفي تكوين شخصيته عندما يرشد ويتوقع له أن يحيا حياة إنسانية كاملة، على الصعيدين الفردي والاجتماعي، بهذا أوضح العلم الحديث ما كان مستوراً في مقولات الأقدمين أمثال (إخوان

---

1. هذا هو المبدأ الذي أقيم عليه مشروع الأمم المتحدة التعليم للجميع education for all الذي أقر عام 1990.
2. رسائل إخوان الصفا. ج3. ص 414، دار صادر... دار بيروت للطباعة والنشر 1377هـ-1957م.
3. المرجع السابق نفسه.

الصفـا) مـن هذه النواحـي البيولوجية حتى أصبح من شـروط التنشـئة الناجحـة في الزمن الراهـن فهـم الأطفال علـى ثلاثة أصعـدة بايولوجية (1) صعيـد الوراثـة، (2) صعيد الأنظمة العضويـة الفاعلة في الوجود المـادي للطفل، (3) صعيد الكيمياء العضوية للإنسـان وتركيبه الهورموني.

ليـس في هذا خفض لإنسـانية الطفل إلـى محض وجود مادي تحكمـه وتتحكم فيه أنظمة عضويـة لأن مـن طبيعـة التأثيـرات الاجتماعيـة أن تفعـل فعلها فـي كائن عضـوي فقط وأن الاختلافـات في البنية العضويـة ORGANIC STRUCTURE تؤدي بالضـرورة إلى اختلاف في ردود الفعل للمؤثرات الاجتماعية، وهذا ما يفارق بين الأفراد.

من خير ما يجسد هذا التفريق هو ـ من باب التمثيل وليس الحصر ـ فعل النظام الغددي في الإنسان.

هناك خمس غدد صماء Endocrine Glands تتحكم في سلوك الإنسان وهي:

1 ـ الغدة الدرقية Thyroid.

2 ـ الغديدات فوق الدرقية PARA-THYROID.

3 ـ الغدة الكظرية Adrenal.

4 ـ الغدة التناسلية The Gonard.

5 ـ الغدة النخامية the pituitry gland.

المقـام لا يحتمـل التعامـل مع هذه الغـدد كلها فلننظر فـي واحدة منها وفعلها في السـلوك الإنساني، لننظر في فعل الغدة الدرقية.

هناك غدتان درقيتان في الإنسان تقعان قرب الحنجرة واحدة على كل جهة من جهتي العنق وهما تفرزان هورمون الثايروكسين Thyroxin. إحدى الوظائف الأساسية للثايروكسين هي تنظيم استهلاك الجسم للأوكسجين ومن ثم تعيين مستوى الطاقة في الجسم الإنساني.

إن معـدل (الأيض القاعدي Bmr-Besal Metabolic Rate)رغم أنه لا يتقرر بعمل (الغدة الدرقية) وحدها.. لكنه يعتبر مؤشـراً جيداً على إنتاجية الثايروكسـين. فـإذا كان إفراز الغدة عاديـاً لـم تظهر إشـكالات سـلوكية عنـد الفرد، أما الأفـراد الذيـن يصابون بنقص فـي إفراز الثايروكسين Hypi-Thyrodism فيتميز سلوكهم بالبلادة والخمول والسماجة.

وفـي الأطفال بشـكل عـام يقترن نقص الثايروكسـين بانخفاض مسـتوى الـذكاء وإذا ما اكتشـفت الحالة في وقت مبكر ومناسـب فيمكن علاجها دوائياً وتنشـيط الغـدة ذاتها لزيادة إفرازهـا من الثايروكسـين وهناك حـالات كثيرة نجح فيهـا العلاج. أما على صعيد الشـمائل والخصائـص الشـخصية العامـة فـإن نقص الثايروكسـين أو عـدم انتظامه يـؤدي إلى جعل

الإنسان منواماً (كثير النعاس) كما يجعله بطيء الاستجابة للمنبهات الخارجية، كما يجعله سريع التهيج والانفعال. تصطبغ مشاعر المصابين بنقص الثايروويد بالكآبة وعدم الرضا عن الأشياء وفقدان الثقة في الآخرين. وتشير البحوث العلمية إلى حالات معينة من الشيزوفرينيا أمكن علاجها باستعمال عقاقير الثايروويد. أما في الحالة المعاكسة.. حالة زيادة إفراز الثايروكسين Hiper-Thyroid فإن أعراض الزيادة في سلوك المصاب تتمثل في ارتفاع درجة التوتر العصبي والانفعالية الشديدة والتفجر الانفعالي والتعب الدائم، وهذه كلها معوقات عن التعلم والانضباط المدرسي والالتزام بالواجب. غير أن الأشياء تصنع أضدادها في الوجود الإنساني. وفي هذه العلاقة يلاحظ علماء النفس أن أعراض نقص الثايروويد من الخمول والكسل والكآبة والشك تفرض على الفرد نوعاً من التعلم السلبي، بمعنى أن المصاب بهذه الأعراض تعتريه حالات من الوعي للوضع الذي هو فيه فيخجل من نفسه فيندفع في تصرفات هوجاء كأنه يريد بها أن يؤكد للآخرين أنه ليس أقل منهم نشاطاً ولا حيوية، ولكن هذه النوبات من النشاط العارض سرعان ما تتلاشى وتختفي فيعود الفرد إلى حالة الكآبة والتعاسة وعدم الرضا والشك في الآخرين.

للغديدات فوق الدرقية Para-Thyroid تأثير أقوى وأسوأ في العملية التعلمية فقد أثبتت بحوث علمية أن المشاكل السلوكية عند قسم من الأطفال مثل المشاكسة والعناد والتمرد والتهيج العضلي والضجر وصعوبة السيطرة على الذات إنما تنجم عن نقص في إفراز هذه الغديدات، وفي كثير من الحالات ونتيجة لعدم تبصير المعلمين والمعلمات والآباء والأمهات بدور إفراز الثايروويد والباراثايروويد في سلوك المتعلمين فإن المعلمين والمعلمات والآباء والأمهات يفسرون المشاكل السلوكية لهؤلاء الأطفال على أنها نوع من الانحراف أو سوء السلوك فيعاقبونهم عليها بدلاً من علاجهم منها[4].

إن خلو مناهج إعداد المعلمين من التبصير بالعلاقة التفاعلية بين الوجود العضوي للمتعلم وبين قدرته على التعلم يؤشر على نقص مؤذ في العملية التعليمية / التعلمية وخاصة في المراحل المبكرة من التعليم. لقد أثبتت بحوث علم الأعصاب مؤخراً أثر السنوات الأولى من عمر الطفل في تكوين خلايا المخ وتشكيلها. العصبونات التي تربط خلايا المخ ببعضها Synapses تنمو نمواً سريعاً في السنوات القليلةالأولى من العمر، وكثافة العصبونة تبلغ ذروتها في السنة الثالثة من العمر وبعدها تأتي فترة من الاستقرار النسبي في نمو العصبونات تتبعها فترة من الإقصاء تأخذ خلالها كثافة العصبونة بالتناقص إلى مستوى مخ الإنسان الراشد. وبسبب هذا النمط من تشكل العصبونات فإن السنوات الثلاث الأولى من عمر الطفل تتميز بأهمية عليا بالنسبة لتطور المخ في الطفل.

---

4. للتوسع في تحليل العلاقة بين التعلم والوجود المادي للمتعلمين، راجع مبحث (نحو منظور معياري لتربية عربية جديدة) للدكتور محمد جواد رضا، وقد قدم في (اجتماع الخبراء) الذي عقدته (المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم) بالاشتراك مع (اللجنة الوطنية العمانية للتربية والثقافة والعلوم) في مسقط في الفترة من 3-6/5/1998، والمبحث منشور في كتاب الدكتور رضا (العرب والتربية والمستقبل. تربية النكوص أو تربية الأمل) نشر الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية، الكويت 2000.

أكثر من هذا.. أظهرت البحوث الطبية الحديثة:

أ. أن البيئة العامة(مادياً وعاطفياً) التي ينشأ فيها الطفل لها فعلها في تطور المخ.

ب. تعرض الأم المبكر إلى المخدرات مثل (النيكوتين من التدخين) والكحول، هذه المؤثرات لها فعل مدمر على نمو المخ وتطوره خصوصاً خلال فترة الحمل حين يكون المخ في طور التشكل.

ج. التجارب السلبية مثل الغضب المزمن والانهيارات العاطفية جراء الإحباطات الشديدة هي أكثر تأثيراً وأطول بقاء في الأطفال الرضع والصبيان منها في الأطفال الأكبر عمراً.

د. للمراحل التطورية من نمو الدماغ مواقيت زمنية حرجة قبل بلوغ الطفل السنة الثالثة من العمر يتوجب خلالها أن يتسلم الطفل منبهات لازمة وبعكس ذلك تتعرض عملية النمو للأذى وفي بعض الحالات يكون الأذى دائمياً. من أمثلة ذلك أن عدم توفر كمية كافية من الضوء في المكان الذي يوجد فيه الطفل يسبب انحراف نظام الرؤية عند الطفل، وذلك لعدم تكامل قوة النظر في عيني الطفل. والطفل الذي يحرم من سماع الكلام وتقطيعاته.. المناغاة.. يتأخر في النطق لفترات متفاوتة حسب درجة الحرمان التي يتعرض لها.

هـ. في ضوء ما تقدم يظهر جلياً أن العناية المبكرة بالطفل تؤدي أكثر من وظيفة، فهي من ناحية وسيلة للحفاظ على سلامة نشأة الطفل ونموه بدنياً وحسياً وعاطفياً، وهي من الناحية الأخرى وسيلة للتعويض عن الحرمان الذي قد يعانيه الطفل في جانب من جوانب نموه.

- 2 -

فتحت هذه الكشوفات العلمية أفق الطفولة المبكرة على مداه الأوسع أمام الباحثين التربويين وهدت مسؤولي التنشئة. آباء وأمهات ومعلمين ومعلمات. إلى فرائض جديدة في وعي طبيعة الطفولة المبكرة واحتياجاتها وفي بنيوية التعليم قبل المدرسي. طبيعته ومتطلباته. وخلقت إدراكاً غير مسبوق لجوهرية هاتين الحاجتين في نجاح الأطفال أو فشلهم في حياتهم القابلة. مراهقة كانت أم راشدة. وكان من أبرز معطيات الاعتراف بهذه الحاجات إجماع علمي عالمي على الحقائق التالية:

1. الأطفال الصغار يختلف نمط نموهم البدني والعقلي والعاطفي عن الأطفال الكبار والراشدين وهو يترك علامات فارقة على مراحل التحول في شخصيات هؤلاء الأطفال وسلوكهم لفترات طويلة من حياتهم وسلوكهم اللاحق.

2. العديد من التحولات النمائية تحدث في قدرات الأطفال البدنية والعقلية والإدراكية

وعواطفهم الاجتماعية، تلك التحولات تقع منذ فترة الرضاعة إلى مرحلة التمدرس. هذه التحولات تترك آثارها في اكتساب المهارات والقدرات وطرق الربط عقلياً بين المكتسبات الإدراكية وفي القدرة على التواصل مع الآخرين والتعلم واللعب.

3. الطفولة المبكرة هي الفترة التي يكون فيها الكائن البشري. أكثر من أي وقت آخر. محتاجاً إلى علاقات إنسانية تتسم بالأمن والتجاوب مع احتياجاته من الراشدين المحيطين به كالأشقاء والأتراب والآباء والأمهات ليس من أجل البقاء فقط ولكن أيضاً ليكتسب منهم الإحساس بالأمن العاطفي والتكامل مع مجتمعه وتكامل قدراته الإدراكية.

4. نمو الأطفال وتطور شخصياتهم يتميزان بحساسية خاصة نحو المؤثرات السلبية مثل سوء التغذية والحرمان من العناية أو من الرعاية الحميمة من قبل الآخرين.

5. إذا لم تُلبّ حاجات الأطفال الأساسية في وقتها وإذا ما عوملوا بالإهمال والخشونة أو القسوة فإن حياتهم الصحية والعاطفية تظل عرضة للاضطراب والتعقد خلال فترة الطفولة كلها وفي مرحلتي المراهقة والرشد.

- 3 -

إذا كانت الحقائق المتقدمة تبلّغ رسالة مشتركة بخصوص الطفولة المبكرة والتعليم قبل المدرسي، فإن أهم ما تبلغه هذه الحقائق يتجسد في الأمور التالية:

أولاً: الفترة بين الميلاد والسنة الخامسة من العمر هي فترة مفعمة بالفرص المواتية للنماء السوي، كما أنها عرضة للعثرات المدمرة للنماء البدني والعاطفي والإدراكي عند الأطفال بحكم أن النماء الإنساني هو نتيجة للتفاعل الحاصل بين القدرات والمواهب الوراثية المختزنة في الطفل وبين أحوال البيئة الإنسانية التي ينمو فيها الطفل.

ثانياً: إن قطاعات كبيرة من الأطفال تواجه مخاطر تحد من نمائهم في السنوات المتقدمة على دخولهم المدرسة الابتدائية. هذه المخاطر المعوقة أو المعطلة للنماء يمكن أن تنتج عن: (1) الفقر، (2) العيش في عائلة متفككة، (3) المستوى الثقافي الواطئ للأم.

ثالثاً: الاختلافات في تجارب الطفولة المبكرة تترجم عن نفسها في صور شتى مثل انعدام التساوي أو انعدام التكافؤ في إمكانيات الاستعداد للالتحاق بالمدرسة الابتدائية، وهذا ما تنجم عنه فجوات أو فروقات في القدرة على التعلم بين الأطفال تدوم معهم طويلاً. إن الاستعداد للالتحاق بالمدرسة الابتدائية لا يتطلب توفر القدرات الإدراكية والمهارات التعبيرية فقط، بل هو يتطلب درجة واضحة من النضج الاجتماعي توفره التنشئة الاجتماعية الواعية، كما يتطلب قدراً من التمرس بالتنظيم الذاتي للسلوك وقدراً من حذق كيفية مقاربة أو محاولة التعلم.

لقد أثبتت التجارب التي أجريت في هذا الصدد أن الأطفال المحرومين يدخلون المدارس الابتدائية بمستويات إدراكية واطئة وافتقار إلى الكفايات الاجتماعية المهمة أهمية خاصة للنجاح المرجو في المدرسة، على حين تشير مقاييس الاستعداد للالتحاق بالمدارس الابتدائية إلى أن أطفال الأوساط الاجتماعية الأحسن حظاً اقتصادياً وثقافياً يلتحقون بالمدارس الابتدائية وهم أفضل تأهيلاً للتعلم وللنمو عقلياً وعاطفياً واجتماعياً.

كذلك أظهرت الدراسات الطولانية Longitudinal أن فجوات التعلم Learning Gaps بين الأطفال المحظوظين وبين الأطفال المحرومين تدوم طويلاً بل هي تتسع أكثر فأكثر كلما تقدم الأطفال في التعليم المدرسي، وذلك بسبب أن الأطفال المحرومين لا يتقدمون في التعلم بنفس السرعة التي يتقدم بها أقرانهم من الأوساط الاجتماعية الأحسن حالاً. الأطفال المحرومون يواجهون احتمالات الرسوب المتكرر وإعادة السنوات الدراسية بل حتى التسرب من التعليم أكثر من أقرانهم أبناء الأوساط الاجتماعية الأحسن حالاً. أكثر من هذا فإن مستويات التحصيل الأكاديمي الأوطأ والنضج الاجتماعي الأبطأ تترابط مع الإسقاطات الأسوأ على فرصهم المستقبلية مثل الفرص الأقل للاستخدام والاتكال على المعونات الاجتماعية الحكومية أو الانحراف والجريمة.

رابعاً: لما تقدم من المعلومات التي يوفرها البحث التربوي فإن برامج التدخل في الطفولة المبكرة يجب أن تصمم لمواجهة أنواع الأزمات التي يتعرض لها الأطفال في حياتهم المبكرة ولتوفير إمكانيات النماء الصحي لهم على الجبهتين المادية والنفسية. هذا تحد واسع من دون ريب وهو ما أوجب ألا تنحصر برامج التدخل المبكر في إشكالات الطفولة في معالجة الحرمان الناجم عن المركز الاقتصادي والاجتماعي المتواضع للعائلة مثلاً ولا محنة العيش مع ولي أمر واحد في عائلة متفككة. هذه البرامج تذهب اليوم إلى أبعد من ذلك بكثير وهي إذ تستهدف الطفل نفسه تستهدف أبويه أيضاً وهي تقدم خدماتها ومساعداتها، أما بصورة فردية (للطفل وحده) أو له ولأبويه في وقت واحد معاً وهي تقرر الآماد الزمنية والمواقيت لتقديم هذه المساعدات.

خامساً: لقد أدت هذه الرؤى المتوسعة في تقويم الطفولة المبكرة حيثما طبقت، إلى نتائج ملموسة وأحياناً باهرة.. مثل إظهار جدوى التدخل المبكر في الطفولة في تحسين حياة الأطفال المشاركين في (برامج التدخل في الطفولة المبكرة) وتحسين حياة عوائلهم من نواحي كثيرة. فبالنسبة للطفل نفسه فقد تحققت نتائج إيجابية كثيرة مثل تطوير قدراته الإدراكية وتقوية تحصيله الأكاديمي وتعظيم كفاياته السلوكية والعاطفية. كذلك ثبت أن الأطفال الذين يشاركون في برامج رعاية الطفولة المبكرة early childhood care and education يكتسبون خبرة تعلمية مبكرة ويقيِّض لهم انتقال أفضل إلى التعليم الابتدائي، كما تتاح لهم فرص أعظم لإكمال تعليمهم الابتدائي.

ولا تتوقف النتائج الإيجابية عند الطفل نفسه بل هي تتعداه إلى النظام التعليمي أيضاً، ذلك أن برامج رعاية الطفولة المبكرة أثبتت جدواها في تخفيض أعداد المتسربين من التعليم الابتدائي وعدد الذين يعيدون السنوات الدراسية، وبهذه الإنجازات تسهم الرعاية المبكرة للطفولة في تحسين الكفاية الداخلية للتعليم الابتدائي وتخفف الكلفة المالية عن الدولة والعائلة[III].

- 4 -

على المدى البعيد. وخارج أطر التمدرس. كشفت الدراسات الطولانية التي أجريت في الولايات المتحدة الأمريكية[III] والأخرى التي أجرتها اليونيسكو في أماكن مختلفة من العالم ثلاثة أنواع رئيسة من التأثيرات المنتظمة في حياة أطفال الأسر الفقيرة الذين شاركوا في برنامج (رعاية الطفولة المبكرة والتعليم قبل المدرسي ecce) مقارنة بأطفال لم ينالوا هذا التعليم ولا هذه الرعاية:

أولاً: الرعاية المبكرة للطفولة والتعليم قبل المدرسي تحسن التحصيل الأكاديمي للأطفال تحسيناً ملموساً من ناحيتين: (1) ارتفاع معدل إنهاء الدراسة، (2) انخفاض الحاجة إلى التربية الخاصة.

ثانياً: إنها حسنت من الاستقرار الاجتماعي للأطفال الذين شملتهم برامج رعاية الطفولة المبكرة ورفعت درجة الشعور بالمسؤولية بينهم وقد انعكس ذلك في أربع نواحٍ:

1. ارتفاع معدلات الزواج لدى الشبان وازدياد عدد الأطفال المنتمين إلى أسر متماسكة.

2. ارتفاع معدلات العمالة والأجور.

3. ارتفاع معدلات الحصول على ممتلكات.

4. انخفاض معدلات الإجرام لدى الشباب والراشدين على حد سواء.

ثالثاً: إنها خفضت التكاليف المالية بالنسبة لدافعي الضرائب على نحو ملموس إذ نجم عن كل دولار أنفق في رعاية الطفولة المبكرة والتعليم قبل المدرسي توفير 7,16 دولارات[III].

---

5. UNESCO – Education for All Monitering Report 2007، P17.

6. مثل الدراسة الطولانية المسماة High scope perry preschool التي ابتدأت عام 1962 في مدينة epsilanti بولاية مشيغان واستمرت ثلاثة عقود أي بعد أن بلغ أطفال التجربة السابعة والعشرين من العمر.

7. اليونيسكو. التنمية في الطفولة.. إرساء أسس التعليم. التعليم للجميع تحويله إلى حقيقة واقعة (باللغة العربية) ص 25، باريس 2001.

- 5 -

نبهت هذه النتائج المؤسسات المالية والاقتصادية في الولايات المتحدة الأمريكية والدول الصناعية الأوروبية واليابان إلى جدوى الجهد المبذول في رعاية الطفولة المبكرة والتعليم قبل المدرسي ليس على صعيد الأفراد فقط وإنما على الصعيد الاجتماعي الأوسع. ووعياً منها لهذه الجدوى راحت تلك المؤسسات المالية والاقتصادية تسهم إسهاماً سخياً في توفير إمكانات مزيد من البحث العلمي المنظم في رعاية الطفولة المبكرة واحتياجاتها ومخاطر إهمالها وفي كيفية التماس الوسيلة لحماية الأطفال من عواقب تلك الأخطار.

يمثل مشروع grow up great نموذجاً فعالاً من نماذج التدخل في الطفولة المبكرة التي ترعاها المؤسسات المالية والاقتصادية الأمريكية. البرنامج ترعاه وتموله مؤسسة the pnc financial services group Inc.

وقد أطلقته المؤسسة في سبتمبر 2003. وهو يمتد لعشر سنوات. ورصدت له مائة مليون دولار 100,000,000 $ أمريكي وجعلت رسالته العليا التي أُلزم بها هي:

«الارتقاء بوسائل تهيئة أطفال الفئة العمرية 1 ـ 5 سنوات للالتحاق بالمدارس..».

المشروع يتألف من مكونات عدة من بينها:

1. الاستثمار المباشر في خدمات تعليمية وغير تعليمية للأطفال المحرومين.
2. تطوير ونشر المعلومات حول تنمية الطفولة child development.
3. جاهزية المدارس لاستقبال الأطفال.
4. الترويج للتطوع في برامج رعاية الطفولة المبكرة لأطفال الفئة العمرية صفر ـ 5 سنوات.
5. تعضيد الأبحاث والدراسات الموضوعية حول الطفولة المبكرة.
6. الترويج لبرامج الأطفال التلفزيونية ذات النوعية الراقية.

القسم الثالث

التعليم قبل المدرسي ورعاية الطفولة المبكرة

المشهد الكويتي

- 1 -

تصدر المسؤولية العامة عن تعميم التعليم قبل المدرسي في الكويت عن مصدرين أحدهما دولي والآخر وطني محض. أما المصدر الدولي فيتمثل في المواثيق الدولية والإقليمية المتعلقة بحقوق الأطفال التربوية التي اعتمدتها دولة الكويت، وأهمها:

ا ـ إعلان حقوق الطفل العربي ـ جامعة الدول العربية ـ 1984.

2 ـ العهد الدولي لحقوق الطفل THE CONVENTION ON THE RIGHTS OF THE CHILD (CCRC) ـ الأمم المتحدة 1989.

3 ـ الإعلان العالمي للتعليم للجميع EDUCATION FOR ALL (EFA) ـ الأمم المتحدة 1990.

هـذه المواثيق الدوليـة الثلاثة كلها تنص على حق مشـروع ومقنن للأطفـال في تعليم قبل مدرسي متكافئ ورعاية مبكرة للطفولة.

أما المصدر الوطني لشـرعية هذا الحق فتتمثل فيما أقره دستور الكويت من حقوق لأطفال الدولـة، والدسـتور صريح وحاسـم في تأسـيس حق الأطفـال الكويتيين في فـرص تربوية وتعليمية متكافئة. نصت المادة الأربعون من الدستور الكويتي على (أن التعليم حق للكويتيين تكفلـه الدولة وفقاً للقانـون)، و(أن التعليم إلزامي ومجاني في مراحله الأولى ويضـع القانون الخطة اللازمة للقضاء على الأمية).. تحمل عبارة (في مراحله الأولى) أهمية خاصة بالنسـبة إلى المطالبة بتعميم التعليم قبل المدرسـي ورعاية الطفولة المبكرة. المادة العاشرة من الدستور قضت بأن (ترعى الدولة النشء وتحميه من الاستغلال وتقيه الإهمال الأدبي والروحي).

استرشـاداً بهذه الثوابت الدسـتورية درجت دولة الكويت على الالتزام بأن التربية واحدة من أولوياتها العليا ولم تبخل على هذا الالتزام بشيء. لقد قدر تقرير (السقطة والقيامة) الذي أصدرتـه (الجمعيـة الكويتية لتقدم الطفولة العربية) عام 1994 مجمـوع ما أنفقته الكويت على نظامها التعليمي في ثلاثين سـنة (1961 ـ 1991) بـ(ثلاثة مليارات دينار كويتي). وبعد تحرير الكويت عام 1991 حتى الآن استمرت الدولة بذلك التقليد السخي من الإنفاق على التعليم العام واعتباره أولوية وطنية عليا. غير أنه مع كل ما يدعو إلى الإشادة بهذا السخاء من الإنفاق على التعليـم فإن هناك الكثير مما لايزال ينتظر الإنجاز لإيفـاء الطفولة الكويتية حقوقها كاملة في مجال التعليم قبل المدرسي ورعاية الطفولة المبكرة.

- 2 -

لا مشـاحة في أن الإحصـاءات المتوفرة عن التعليم قبل المدرسـي في الكويت تكشـف عن إنجازات ظاهرة الأهمية. خلال العقد المنصرم بين العامين الأكاديميين 1995 / 1996-2004 / 2005 ظلت رياض الأطفال الحكومية في نماء كمي متواصل:

الجدول رقم (1)

أعداد التلاميذ في رياض الأطفال الحكومية خلال عقد كامل

العام الدراسي	عدد التلاميذ
1995 / 1996	37020
1996 / 1997	37521
1997 / 1998	42072
1998 / 1999	43396
1999 / 2000	44152
2000 / 2001	44270
2001 / 2002	43669
2002 / 2003	42375
2003 / 2004	41336
2004 / 2005	40897

المصدر. النشرة السنوية للإحصاءات الاجتماعية. دولة الكويت. وزارة التخطيط. 2005.

هذا النماء الكمي يكشف عن درجة واضحة من العدل في خدمات تعليم رياض الأطفال بين المناطق التعليمية الست في الدولة.

جدول رقم (2)

توزيع رياض الأطفال حسب المناطق التعليمية

ونسبتها إلى مجموع السكان في كل منطقة تعليمية. 2005

المنطقة	عدد السكان	عدد الرياض	نسبة عدد الرياض إلى مجموع السكان
العاصمة	205,256	31	روضة لكل 6621
حولي	166,271	26	روضة لكل 6395
الفروانية	182,275	29	روضة لكل 6627
مبارك الكبير	113,818	34	روضة لكل 3347
الجهراء	103,718	17	روضة لكل 6101
الأحمدي	200,921	33	روضة لكل 6061

المصدر. المجموعة الإحصائية السنوية. دولة الكويت. وزارة التخطيط. 2005.

التقـارب بـين المناطـق التعليميـة فـي تقـديم خدمـات ريـاض الأطفـال دفـع منظمـي هذه الإحصـاءات إلى القول بأن (95٪) من أطفال الكويـت يلتحقون برياض الأطفال، على حين أن الأرقام المتوفرة تقول بغير ذلك، إنما المقصود بالـ (95٪) هو نسبة الكويتيين إلى غير الكويتيين الملتحقين برياض الأطفال الحكومية.

جدول رقم (3)

التوزيع النسبي لتلاميذ الرياض حسب الجنسية

الجنس	كويتي	غير كويتي	جملة
ذكور	95,1	4,9	100
إناث	95,4	4,6	100
جملة	95,2	4,8	100

المصدر. المجموعة الإحصائية السنوية للعام 2005. دولة الكويت. وزارة التخطيط. ص 167.

بهـذا يكون مـا تقوله الأرقـام الرسـمية إن الأطفال الكويتيـين الملتحقين بريـاض الأطفال الحكومية يمثلون (95,2٪) من مجموع التلاميذ المسجلين في هذه الرياض وليس (95,2٪) من مجموع الأطفال الكويتيين الذين هم في عمر الرياض (3 ـ 5 سنوات).

أمـا إذا كان المقصود فعلاً (95,2٪) من مجمـوع الأطفال الكويتيين في عمر رياض الأطفال فينبغي توفير إحصاءات تدعم هذا القول لأن المعلومات الإحصائية المتوفرة حالياً لا توفر ذلك لأنها تتبع نسقاً آخر في تصنيف الأطفال عمرياً:

جدول رقم (4)

عدد الأطفال الكويتيين حسب الفئات العمرية 2005

صفر ـ 4 سنوات		5 ـ 9 سنوات	
ذكور	71031	ذكور	67469
إناث	68992	إناث	64229
المجموع	140,023	المجموع	131,698

المصدر ـ المجموعة الإحصائية لدولة الكويت ـ 2005.

مـن ناحيـة أخرى تكشـف الإحصـاءات المتوفرة عـن فروق حرجـة بين مسـتويات الخدمات التعليميـة التـي تقـدم للأطفـال حسـب المناطـق التعليميـة وفـي مقدمتهـا مسـتويات القدرة الاستيعابية للصفوف التعليمية كما تظهر في الجدول التالي:

جدول رقم (5)

القدرة الاستيعابية للصفوف من التلاميذ في رياض الأطفال الحكومية (*)

المنطقة التعليمية	مجموع الرياض	مجموع التلاميذ	مجموع الصفوف	القدرة الاستيعابية لكل صف من التلاميذ
العاصمة	31	6070	259	20,3
حولي	26	5306	236	22,5
مبارك الكبير	34	4836	243	19,9
الفروانية	29	8385	301	27,6
الأحمدي	33	10116	317	31
الجهراء	17	6184	195	32

(*) تم استخراج هذا الجدول من المجموعة الإحصائية السنوية - وزارة التخطيط - دولة الكويت 2005 - ص: 368 - 372 - 376.

الفروق التي يظهرها الجدول في القدرة الاستيعابية للصفوف التعليمية في المناطق الست تؤشر على سلبيات واجبة التدارك. إن إدارة صف يضم عشرين من الأطفال بين الرابعة والسادسة من العمر هي أقل مشقّة من صف يضم واحداً وثلاثين طفلاً، وهذا بطبيعة الحال أقل مشقة من صف يضم اثنين وثلاثين طفلاً. والمشقة المشار إليها تتعلق بجودة نوعية التعليم والرعاية التي تستطيع المعلمة (أو المربية) الواحدة تقديمها للأطفال في هذه المرحلة المبكرة من العمر، خصوصاً إذا تذكرنا أن كلمة (تعليم) هي ذات قيمة اصطلاحية فقط في هذا المقام لأن وظيفة روضة الأطفال ليست تعليمية بالمعنى المتعارف عليه في المراحل التعليمية الأعلى. وظيفة روضة الأطفال هي خلق البيئة النفسية الملائمة والميسّرة لتفتح الذات عند الطفل وإنماء القدرات العقلية واللغوية والاجتماعية المستودعة في الطفل ويكون «التعلم» نتيجة تبعية لتفتح الذات عند الطفل. إن عملية تفتح الذات ومعطياتها التبعية هي الحصيلة المتوقعة من عمل رياض الأطفال، وهذه الحصيلة المتوقعة تتحسن نوعيتها كلما قلّ عدد الأطفال الموكل أمرهم إلى المعلمة (المربية) الواحدة لأنها تتطلب من المربية أعلى درجات المعرفة بطبيعة الطفولة، كما تتطلب أعلى درجات الصبر والتفهم لإعانة الأطفال على التعلم بما يتفتح في شخصياتهم من القدرات المستودعة فيهم، عقلية كانت أم لغوية أم اجتماعية. إن الكثافة العالية في أعداد الأطفال في الصف الواحد تستوجب إعادة النظر والإتيان بتراتيب إدارية أكثر واقعية وأنفع للأطفال.

في العام الدراسي 2004 / 2005 كانت نسب أعداد الأطفال إلى المعلمات في رياض الأطفال الحكومية في الكويت عشرة أطفال تقريباً لكل معلمة (مربية واحدة لكل 10,7 أطفال). هذه نسبة مقبولة - إحصائياً - بل هي قريبة من المستويات الدولية المعمول بها في رياض الأطفال بشرط أن يكون لكل معلمة (مربية) مساعدة واحدة على الأقل من المستخدمات المدربات على العمل في مراقبة نظافة الأطفال ومساعدتهم في استعمال دورات المياه والأكل وخلع وارتداء ملابسهم وما شابه ذلك من الخدمات التي يحتاج إليها الأطفال في الروضة. من هنا تبدو الكثافة العددية في الصفوف وعدم توفر الأعداد الكافية من المستخدمات مشكلة تتطلب مزيداً من الدرس وإعادة الترتيب. فإذا أضيف إلى هذا غياب المعلومات التفصيلية عن المؤهلات المهنية للمعلمات (المربيات) العاملات في الرياض، فإن المشكلة تبدو أكثر حرجاً.

- 3 -

على صعيد دور الحضانة، كانت الصورة عام 2005 على النحو التالي:

جدول رقم (6)

دور الحضانة في دولة الكويت 2005

عدد دور الحضانة	87
الأطفال المسجلون فيها	4631
عدد المشرفات	648
عدد المستخدمات	276
نسب أعداد الأطفال إلى دور الحضانة وإلى المشرفات والمستخدمات	
1 ـ معدل 53 طفلاً في كل دار حضانة	
2 ـ مشرفة واحدة لكل 7.18 أطفال	
3 ـ مستخدمة واحدة لكل 17.5 طفلاً	

المصدر ـ وزارة التخطيط الكويتية ـ النشرة السنوية للإحصاءات الاجتماعية ـ 2005.

وراء هذا العرض الإحصائي لواقع دور الحضانة تبرز الفجوات التالية:

1. لا توجد معلومات عن المواصفات الهندسية لدور الحضانة. مساحاتها وتصاميمها الهندسية. وإذا كانت مصممة كدور حضانة أصلاً أم هي بيوت أو شقق مستأجرة.

2. لا تتوفر معلومات عن جنسيات الأطفال المسجلين في دور الحضانة لمعرفة ما إذا كانت فكرة دور الحضانة قد أصبحت ثقافة تربوية جديدة، أم أن هذه الدور هي مجرد محلات استيداع للأطفال كيما يتاح للأمهات الذهاب إلى العمل أو أي مسؤولية اجتماعية أخرى.

3. لا توجد معلومات عن المؤهلات المشترطة أو المتوفرة فعلاً في المشرفات والمستخدمات العاملات في دور الحضانة.

4. لا تتوفر معلومات عن الخدمات التي تؤديها دور الحضانة للأطفال المسجلين فيها ودرجة تحققها ودرجة جودتها.

5. إن نسبة أعداد الأطفال إلى المشرفات والمستخدمات في دور الحضانة عالية، الأمر الذي يؤثر في نوعية الخدمات التي تقدم للأطفال والعناية بهم. يلاحظ على هذه الإحصائيات التربوية أنها ذات طبيعة تراكمية وليست تحليلية وهي بهذا غير مؤهلة لإعطاء مؤشرات موثوقة حول توزيع فرص التعليم قبل المدرسي ورعاية الطفولة المبكرة بين أطفال الكويت.

من العرض الإحصائي المتقدم والمآخذ المسجلة عليه يتبين أن التعليم قبل المدرسي ورعاية الطفولة المبكرة في الكويت يتطلبان معالجة إحصائية أبعد آماداً وأكثر عمقاً تخدم الغايات التالية:

1. تحديد دقيق لأعداد الأطفال من الشرائح العمرية الأولى (1 ـ 5 سنوات).

2. تصنيف أطفال كل شريحة عمرية حسب دخل العائلة الاقتصادية.

3. تصنيف أطفال كل شريحة عمرية حسب مراحل تعليم الأمهات والآباء.

4. تصنيف أطفال كل شريحة عمرية حسب المناطق السكنية التي يتواجدون فيها.

5. تصنيف أطفال كل شريحة عمرية حسب أوضاعهم العائلية (بيئة عائلية عادية. أيتام. أطفال أزواج مطلقين. عوائل متفككة).

6. تصنيف أطفال كل شريحة عمرية حسب تاريخهم الصحي.

7. تصنيف أطفال كل شريحة عمرية حسب إعاقاتهم ودرجاتها إذا كانت فيهم إعاقات بدنية أو غيرها.

8. تصنيف أطفال كل شريحة عمرية حسب الأمراض الوراثية إذا كانت موجودة في العائلة.

9. تصنيف أطفال كل شريحة عمرية حسب الخدمات (الاجتماعية. الترفيهية. التعليمية) المتوفرة لهم في منطقة سكنهم.

10. تصنيف أطفال كل شريحة عمرية حسب البيئة السكانية التي ينتسبون إليها (حضر. أبناء البادية).

- 4 -

المشهد المتقدم يتكشف عن حاجة ملحة إلى بناء مخطط وطني شامل لإعادة تأسيس برامج التعليم قبل المدرسي ورعاية الطفولة المبكرة يهدف إلى وضع الأركان التالية لعملية إعادة التأسيس:

1. تأسيس الرؤية النظرية نحو (التعليم قبل المدرسي) واستشراف الثقافة الجديدة التي ستنجم عنه وترتبط به (ثقافة الطفولة) بأبعادها التربوية والاجتماعية والاقتصادية.

2. وضع منظور تطبيقي لتربية الطفولة قبل المدرسية بما في ذلك دور الحضانة ورياض الأطفال وما قبلهما.

3. رسم دور الدولة ودور المجتمع في وضع وتنفيذ (سياسة اجتماعية) خاصة برعاية الطفولة المبكرة والتعليم قبل المدرسي في الكويت ملتزم بها من قبل الحكومة والشعب معاً.

4. بناء قاعدة معلومات معرفية وإحصائية عن أوضاع الطفولة المبكرة في الكويت تكون منطلقاً لوضع الخطط التطبيقية لتنفيذ (السياسة الاجتماعية) المشار إليها أعلاه.

- 5 -

تنفيذ المخطط الوطني لإعادة تأسيس برامج التعليم قبل المدرسي ورعاية الطفولة المبكرة سيرتبط بالضرورة برؤية إدارية وتنظيمية يمكن تفصيلها على النحو التالي:

أولاً. ينشأ كيان إداري تربوي جديد باسم (المؤسسة الوطنية للتعليم قبل المدرسي ورعاية الطفولة المبكرة) تلحق بها الوحدات الإدارية التربوية المسؤولة حالياً عن دور الحضانة ورياض الأطفال في وزارة التربية.

ثانياً. تتولى المؤسسة الجديدة مسؤوليات التحقق من التحاق جميع الأطفال الذين هم في عمر التعليم قبل المدرسي برياض الأطفال، كما تتولى تطبيق كل الإجراءات القانونية المشرّعة لهذا الغرض. كذلك تتولى المؤسسة الوطنية تنظيم التعليم في رياض الأطفال وكل الإجراءات التبعية لذلك من الترخيص لتأسيس رياض

الأطفـال بشـروط قانونيـة معينة ووضـع قواعد مراقبـة وتقـويم أداء الرياض لواجباتها بالشروط والضوابط التي تضعها المؤسسة لهذا الغرض.

ثالثـاً. تتولى المؤسسـة كفالة هذه الخدمـة التعليمية إلى مسـتحقيها بدرجة واحدة من الكفاية والجودة وفقاً للقواعد التالية:

أ. الشـرط الأول والأساسـي للتطبيق العادل والفعال لتعميم التعليم قبل المدرسي ودور الحضانة هو الارتقاء بنوعية التأهيل المهني الذي يشترط فيمن يُعيَّن معلمات (مربيات) في رياض الأطفال، ومشرفات في دور الحضانة.

ب. يتم تخطيط فتح رياض الأطفال وفقاً للقواعد التالية:

1. يكـون لكل تجمع سـكاني مؤلـف من (50-100) عائلة روضة أطفـال واحدة على أن تتوفر رياض أطفال أخرى إذا زاد عدد العوائل في هذا التجمع عن مائة عائلة.
2. يكون لكل عشرة أطفال معلمة (مربية) واحدة تساعدها مستخدمة مؤهلة.
3. أمـا بالنسـبة إلـى التجمعـات السـكانية الصغـرى التي يقـل فيها عـدد العوائل عن خمسـين عائلـة فتؤسـس لها ريـاض أطفال مشـتركة فـي مواقع وسـطية بين هذه التجمعات وتوفر لها وسـائط نقل مدرسـية مسـتكملة لشروط السـلامة والصحة تتولى نقل الأطفال إلى رياضـهم ومنها بشـكل منتظم ويعين لسـياقة هذه الوسائط سوّاق حوافل ومرافقون مدربون في نقل تلاميذ المدارس تدريباً جيداً.
4. فـي الرياض المشـتركة تظل نسـبة عدد الأطفال إلـى المعلمة (المربيـة) الواحدة، كما في بقية الرياض (1-10)، كما يظل مسـتوى التجهيـزات والخدمات واحداً من حيث الجودة.
5. إعـادة النظـر في القواعد المعمـول بها الآن لفتح دور الحضانـة وتحديد مواصفات أبنيتها وشروط العمل ورعاية الأطفال فيها بما يتوافق مع المقاييس الدولية المأخوذ بها في هذا المجال.

القسم الرابع

مشروع وطني واحد مسؤولية مقتسمة

- 1 -

لم ينبثق مبدأ «الشراكة بين الدولة والشعب في إدارة التعليم العام» من فراغ ولا هو محض شغف مثالي في العمل من أجل العدالة التربوية، وإنما هو مطلب تربوي قضت به كشوفات العلوم الإنسانية والبايولوجية في الحقب القريبة الماضية كما أملته التحولات الكونية الحادثة في ميادين المعلومات والعولمة والتنافس الدولي على الابداع في تربية الأطفال إبداعاً يجعلهم أدوات فعالة في دخول حلبة المنافسة الدولية من أجل إثبات الذات - فردياً ووطنياً - في مساقات التغالب الاقتصادي والعلمي الذي يحكم العالم اليوم ولا يستبعد أن يتحول إلى صراع أممي يتمظهر في مظاهر شتى من العلم والاقتصاد والنظم الاجتماعية حيث لا تعود التربية عملاً حكومياً يمكن تخطيطه وتنفيذه بمعزل عن أولياء أمور الطلبة ولا من دون تجنيد توقعاتهم ومشاركاتهم في العملية التربوية كلها.

إن هؤلاء الأولياء لابد أن يكونوا شركاء كاملي الشراكة مع الدولة في استشراف الحاجات المستقبلية لتنشئة أبنائهم وبناتهم وفي التأكد من جودة التعليم الذي يقدم لهؤلاء الأبناء والبنات.

ليست القضية هنا قضية تمويل التعليم فقط ولا هي قضية إدارة النظام التعليمي، القضية هي أنه لم يعد من مصلحة الأجيال الجديدة أن تنفرد الدولة وحدها بإدارة هذا النظام وتوجيهه من دون أن يكون لأصحاب الولاية الشرعية الأولى عليه - الآباء والأمهات - إسهام مباشر وايجابي فيه. إن أولياء الأمور هم المسؤولون الأولون أمام الله وأمام أبنائهم وبناتهم عن تربية هؤلاء الأبناء والبنات لأن كل قصور أو تقصير في تربية هذه الذُريّة اليوم سينعكس سلباً عليها عندما تكبر ويحين وقت مشاركتها في نظام المجتمع العام من عمل وإنتاج وكسب للرزق واحتلال للمراكز الاجتماعية.

بعبارة أخرى إن هذه المسؤولية الشريفة ينبغي أن تغدو من الآن فصاعداً شراكة بين دولة الكويت وشعب الكويت من أجل تأسيس اجماع وطني على مشاطرة الآباء والأمهات للمؤسسة التربوية الوطنية (وزارة التربية) دورها في رسم الغايات المبتغاة لتربية الأجيال الجديدة وإتقان العمل من أجل تحققها وبهذا يكون لأفراد المجتمع - أولياء أمور الطلبة وغيرهم - دور معلوم وإرادة مقررة في تربية أطفال المجتمع تربية ممتازة تؤهلهم للعب دورهم كمواطنين كاملي المواطنة حين يرشدون[1].

---

1 - قضية التحول بالمسؤولية التربوية من مسؤولية الدولة فقط إلى مسؤولية الدولة والشعب نوقشت مناقشة موسعة في كتاب: الإصلاح التربوي من منظور خليجي تأليف الدكتور محمد بن جاسم الغتم والدكتور محمد جواد رضا، نشر مركز البحرين للدراسات والبحوث، 2003.

عندما ترسم حدود الشراكة المقترحة ستكون مسؤولية الدولة هي الأوضح حدوداً باعتبار الدولة هي المؤسسة الاجتماعية الأكبر والأقوى وهي. كما تقرر اليونيسكو. الأقدر (على تغيير الرأي العام واكتساب تأييده لتنمية الطفولة المبكرة وهي تستطيع عند تحديدها لبرامج وسياسات على المستوى الوطني أن تدمج هذه التنمية ولو كمفهوم على الأقل في تشغيل المرافق التربوية وغيرها من مرافق البلاد)[2].

من تقرير هذه القدرة، تفرّع اليونيسكو مسؤوليات الدولة في مشروع المشاركة على النحو التالي:

1. تحديد الواجبات التي تلزم بها الوزارات والمؤسسات ذات العلاقة بالتعليم قبل المدرسي ورعاية الطفولة المبكرة.

2. جمع وتوحيد جهود الأطراف ذات العلاقة بمشروع التعليم قبل المدرسي ورعاية الطفولة المبكرة من وزارات ومؤسسات صحية وتربوية ومن الجامعات والمنظمات غير الحكومية في وضع آليات تدفعهم إلى العمل على صياغة تصور وخطة عمل لتعميم التعليم قبل المدرسي لجميع الأطفال مع إيلاء الاهتمام الواجب للأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة.

3. إشراك المؤسسات المالية، غير الحكومية (مثل البنوك وشركات الأسهم) في تحمل قسط من الكلفة المالية لبرامج التعليم قبل المدرسي ورعاية الطفولة المبكرة.

ان قدرة الدولة في الكويت على التدخل في مشروع تعميم التعليم قبل المدرسي ورعاية الطفولة المبكرة تصدر عن قوتين تملكهما الدولة.. قوة المال وقوة التشريع وتتميز قوة التشريع بأسبقية وأفضلية على قوة المال.

بالتشريع يمكن (تقنين الحقوق التربوية)، وتقنينُ هذه الحقوق. في الدولة المعاصرة. هو عنصر تكويني في البنية التربوية وأدائها وهو مؤشر على فعل الإرادة السياسية في تسريع عملية التقدم الاجتماعي أو تعويقها. فبموجب الأصول الدستورية للقوانين والأنظمة التربوية تتحدد مسؤوليات الدولة ومسؤوليات المجتمع نحو المواطنين الصغار كما تتحدد حقوق هؤلاء المواطنين والكيفية التي يمكن بها بلوغ أحسن صور التنفيذ لهذه التشريعات كما أن القصور أو التقصير في تنفيذ السياسة التعليمية يصبح أمراً قضائياً يمكن الترافع بشأنه أمام المحاكم.

ووعياً منها لهذا الدور الحيوي الذي يمكن أن يلعبه التشريع التربوي في إنضاج برامج التنمية المتنوعة طالبت الأمم المتحدة في (تقرير التنمية البشرية للعام 1997) دول العالم الثالث بتوجيه تشريعاتها التربوية نحو تمكين الأطفال من كل الحقوق التي أصبح العالم يعترف

---

2. اليونيسكو. التنمية في الطفولة المبكرة. إرساء أسس التعلم ص 13، 2001 (في اللغة العربية).

بها لهم. إن هذا لا يجعل التشريع غاية في ذاته لأن المراد منه وبه أن يكون أداة في خلق ثقافة وممارسة جديدتين لتوفير التعليم قبل المدرسي ورعاية الطفولة المبكرة خلقاً تجادل فيه (اليونيسيف) على النحو التالي:

«لا يكفي لنجاح التغييرات الاقتصار على الكلام أو حتى على الارادة ويجب أن يقترن الكلام والارادة بالتزام سلوكي مادي وتشريعي على كافة المستويات إذ يجب تدريب المعلمين على إعداد أدوات وقدرات تساير التفكير الجديد هذا.

ويجب تيسيراً لهذه التغييرات أن يتعلم الآباء معرفة احتياجات أطفالهم ومعرفة حقوقهم ومسؤولياتهم كآباء. وينبغي التفطن إلى أن من المفيد لتلبية مطلب التغيير هذا أن يقترن بمساهمة نشطة ومستمرة عن المنظمات الحكومية وغير الحكومية...» [3].

وعلى قدر ما يتعلق الأمر بكفالة التعليم قبل المدرسي حقاً مقرراً ومقنناً للأطفال، يشترط في التشريع التربوي أن يستعمل لغة مبينة غير قابلة للتأويل في اثبات الحقوق التي يجب تمكين الأطفال من التمتع بها. هذه الحقوق غير القابلة للتأويل تتبلور في أدبيات الأمم المتحدة ومواثيق حقوق الأطفال الصادرة عنها في المبادئ التالية:

1. أن يوضح القانون حق الطفل في التعليم وفي مختلف الخدمات التي ترافقه ويقتضي هذا الأمر أن ينتفع كل طفل بالتعليم الجيد النوعية بصرف النظر عن قدرة الآباء عن توفيره أو العجز عن توفيره.

2. يجب أن يحدد القانون حقوق الأطفال والخدمات التي يشترطها التمتع بالتعليم قبل المدرسي وأن يشمل ذلك كل الأطفال مهما كانت كفاءتهم الفكرية والبدنية.

3. يجب الاعتراف للطفل بالتعليم قبل المدرسي كمرحلة تعليمية مميزة تمثل جزءاً لا يتجزأ من العملية التعليمية المتواصلة ويكون من حق الطفل أن تلبي احتياجاته الخاصة وذلك ضمن الاطار التعليمي العادي.

4. يجب أن تتحول المدارس إلى مجمعات محلية مندمجة تهتم باحتياجات جميع الأطفال.

5. ينبغي أن ينتفع كل طفل بالتعليم الذي يعده للحياة والعمل.

6. يجب دراسة ظاهرة التسرب المدرسي والأسباب التي تنفر التلاميذ من التعليم وتدفعهم إلى هجره داخل العائلة وداخل المدرسة على حد سواء.

7. وعلى العموم يحق للطفل أن ينتفع بمجموعة كاملة من خدمات الدعم الاجتماعي

---

3. المرجع السابق نفسه.

والنفسي لكي يستفيد من موارد النظام التعليمي استفادة تمكنه من تنمية كفاءاته إلى حدودها القصوى.

- 2 -

وراء تقرير الحق التربوي بالتشريع تبقى المسؤوليات المالية التقليدية التي حملتها وما تزال تحملها الدولة في الكويت بسخاء وتكرّس. ولكن من أجل أن تكون الشراكة حقيقية وفاعلة فلابد من نقل بعض هذه المسؤوليات من على كاهل الدولة ووضعها على عاتق العوائل المقتدرة وفق قواعد وموازين منصفة. يمكن طرحها بالصورة التالية:

أولاً: تصنيف عوائل الأطفال حسب فئات مداخيلها السنوية وفق ضوابط يتفق عليها.

ثانياً: وفقاً لهذا التصنيف ستقع عوائل الأطفال في ثلاث فئات:

1. عوائل مقتدرة:

تتحمل كلفة الحاق أطفالها برياض الأطفال كاملة.

2. عوائل ذات دخول متوسطة:

تتحمل نصف كلفة الحاق أطفالها برياض الأطفال وتقوم الدولة بدفع النصف الآخر إذا كان المعيل للطفل (الأب أو الأم) موظفاً عند الحكومة. أما المعيلون الذين يعملون في المؤسسات التجارية والصناعية والمصرفية فتقوم الجهة التي يعملون عندها بدفع النصف الآخر.

3. عوائل ذات دخول دنيا:

تتم تغطية كلفة الحاق أطفال هذه العوائل برياض الأطفال تغطية كاملة من خلال التراتيب التالية:-

أ) العاملون والعاملات في أجهزة الدولة من موظفين ومستخدمين تلتزم الدولة بدفع كلفة الحاق أطفالهم برياض الأطفال كاملة.

ب) العاملون والعاملات في المؤسسات التجارية والمالية والصناعية والخدماتية تقوم المؤسسات التي يعمل فيها هؤلاء بتغطية الكلفة المالية لإلحاق أطفالهم برياض الأطفال الأهلية كاملة أو تقوم هذه المؤسسات بتأسيس رياض أطفال خاصة لأطفال العاملين والعاملات عندها في مواقع العمل والقيام بتجهيزها وتعيين معلماتها وإداريها ومستخدميها وفقاً للمواصفات التي تضعها وزارة التربية لكل رياض الأطفال في الدولة.

ج) أما أطفال العاملين لحساب أنفسهم SELF EMPLOYED من المزارعين وأصحاب

الحرف فتقوم الدولة بدفع كلفة الحاقهم برياض الأطفال بطريقة يتفق عليها بين أولياء الأمور والحكومة.

- 3 -

المشروع المطروح في هذه الدراسة إلى تعميم التعليم قبل المدرسي ورعاية الطفولة المبكرة في الكويت هو مشروع للعمل من أجل العظمة الاجتماعية التي تجعل من أطفال الكويت رأسمالها الأكبر ومشروعها الاستثماري الأول في المستقبل وسيتطلب ذلك ابتداء .وبالإضافة إلى ما سلف تقريره في هذه الدراسة من التزامات على الدولة لانجاح المشروع .قيادة حملة توعية قوية تشرك كل الوسائل الاعلامية المتوفرة في الكويت للتعريف بقيمة المشروع القريبة والبعيدة في حياة الكويت وأطفالها، حملة تغمر أولياء الأمور ورجال الدولة وكل المثقفين والمثقفات الكويتيين بغية خلق إجماع وطني على تجسيد المشروع على أرض الواقع والبلوغ به أعلى درجات النجاح.

أما الأمر الثاني الذي يتطلبه نجاح المشروع فهو أن تلعب الدولة في انجاحه دور (المحفز أو المسرّع CATALYST) وليس دور المانح. نجاح المشروع يجب أن يكون نجاح الشعب الكويتي كله. أنه يجب أن يكون نجاحاً وطنياً تماماً، وسيكون هنا للدولة .بما تملكه في وزن أخلاقي في الهيئة الاجتماعية ومن إمكانات مادية .دور مميز في أن تكفل له امكانيات النجاح بالوسائل التالية:

ا .أن تسبغ عليه قداسة الولاية العامة باصدار التشريعات الخاصة بالتنظيم الجديد لهذا التعليم ومن خلال دور الرقابة والمتابعة والتوجيه الذي تمارسه وزارة التربية من خلال (المؤسسة الوطنية للتعليم قبل المدرسي) من أجل أن يحصل كل طفل كويتي وكل طفلة كويتية على حقه وحقها في هذا التعليم الذي يجب أن يقدم لهم وفقاً لمقاييس الجودة الدولية في هذا المجال.

2. تقديم قروض سهلة لمالكي رياض الأطفال الأهلية القدامى والجدد يستعينون بها على تأسيس رياض أطفال جديدة في المناطق المحرومة منها أو تحديث القائم منها فعلاً والارتقاء بنوعية العناصر البشرية التي تستخدم في هذه الرياض للتعليم أو الإدارة أو الخدمات المدرسية.

3 .تقديم أراض أميرية مجاناً أو بأسعار مخفضة لتأسيس رياض أطفال جديدة بخاصة في المناطق السكنية التي تقطنها العوائل ذات الدخول الأدنى لتيسر لأطفالها فرص التمتع بحقهم في التعليم قبل المدرسي، ويشترط في هذه الحالة أن تعتبر الأرض المقدسة من الدولة (وقفية) للروضة الممنوحة لها، وبهذا يمنع بيع الأرض بيعاً تجارياً، وفي حال غلق الروضة لأي سبب من الأسباب تعود ملكية الأرض إلى الدولة.

أما المجتمع الكويتي ومنظماته المدنية ومؤسساته الاعلامية فأنهم سيكونون مسؤولين

أن يساهموا مساهمة فعالة في خلق المناخ النفسي اللازم للوعي الفعلي لقيمة التعليم قبل المدرسي وتعميمه على كل أطفال الكويت وذلك بالعمل على تحقيق مايلي:

1. تعبئة الارادة الوطنية العامة للأخذ بمبدأ الشراكة بين الدولة والمجتمع في حمل مسؤولية تعميم التعليم قبل المدرسي لكل أطفال الكويت وتقبل التبعات المالية أو التنظيمية التي يتطلبها العمل على نجاحه.

2. تعميق المعرفة بالحقائق الخاصة بالطفولة المبكرة.. قيمتها وتطورها وموجبات سلامتها وحمايتها من كل ما يتهددها بالتعويق أو العجز بدنياً أو نفسياً أو عقلياً.

3. توجيه الاهتمام العام إلى جدوى الاستثمار الاقتصادي في تربية الطفولة المبكرة ومردود هذا الاستثمار سياسياً واقتصادياً على تقدم المجتمع الكويتي وسلامته وأمنه.

4. حفز إرادة الآباء والأمهات لأن يتمتع أطفالهم بفرص التعليم قبل المدرسي المتاحة وتنبيههم إلى أخطار غياب هذه الارادة على المستقبل الاجتماعي والاقتصادي والسياسي لأطفالهم حينما يكبرون ويصبحون مواطنين مشاركين في الدولة.

5. المساهمة النشطة والصادقة في توفير المعلومات التحليلية المتعلقة بأوضاع الطفولة المبكرة واحتياجاتها كما في حال طلب معلومات حول ظروف عوائل الأطفال المالية أو الصحية أو الاجتماعية.

6. المساعدة في تنفيذ البحوث والدراسات الميدانية التي ستنظم حول النمو النفسي والاجتماعي واللغوي للأطفال[4].

4. وردت المطالبة بأمثال هذه الالتزامات في بيان (منظمات المجتمع المدني الكويتية) حول التعليم قبل المدرسي ومستقبل الطفولة في الكويت الذي صدر عن اجتماعها في (الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية) يوم الاثنين الموافق 12 / 3 / 2007.

القسم الخامس

هندسة النشأة الأولى

- 1 -

تمثل تربية الطفولة المبكرة والتعليم قبل المدرسي عقبة عسيرة الاقتحام إن لم تعالج بأكبر قدر من الحكمة والواقعية العلمية. كل طفل جديد يدخل هذا العالم هو (مشروع احتواء) لقوة اجتماعية معينة، أو لمعتقد ديني، أو سياسي متوقع، أو لتوقع عائلي من نوع ما على حين أن تجلي الفطرة فيه يقتضي غير ذلك. التناقض بين (التوقع الاحتوائي) وبين فروض تجلي الفطرة الكامنة في الطفل كثيراً ما يخلق حالة من الصراع بين ما هو حق للطفل في أن يفصح عن قدراته وقواه ونوازعه التي أودعها الله فيه وميزه بها من الآخرين.. وبين ما يراد به وله ومنه من قبل الراشدين المحيطين به حتى ليكادوا يسلبونه ذاته، هذه قضية أزلية ما تزال تتجدد بين الناس.

في كتابها الأخير (العقل المستوعب The Absorbent Mind) جددت ماريا مونتيسوري طرح هذه الإشكالية بلغة العصر موجهة الأنظار إلى وجوب فهم ما يعتمل داخل الطفل من فعل قوانين النماء والتفتح في الشخصية الإنسانية وضرورة عدم التدخل في هذه القوانين أو تعويق عملها. قالت مونتيسوري:

«إن كل ما نستطيع فعله هو أن نوفر ضرورات النمو ومستلزماته وإزاحة العوائق أو العقبات التي يمكن أن تمنع من الوصول إلى النتيجة النهائية وهي النمو والتفتح اللذين هما المهمة البايوفسيولوجية للطفل نفسه.. مهمته أن يتكون من خلال عمليتي النمو والتفتح إنساناً متوجهاً نحو بيئته متكيفاً لزمانه ومكانه».

في مفصل هذه العلاقة شخصت مونتيسوري ما سمته تسمية غامضة (المراحل الحساسة) في نمو الطفل، وطالبت بتفهم الحاجات النمائية لكل مرحلة من هذه المراحل الحساسة وتلبيتها لتمكين الطفل من اجتيازها بنجاح.

في وقت مقارب استطاع جان بياجيه J.Piage أن يزيل الغموض عن تشخيص مونتيسوري وأن يسنده بالدليل التجريبي. رسم بياجيه رسماً واضحاً أربع مراحل نمائية للطفولة المبكرة:

1 مرحلة الآليات الحسية The Sensory Motor Period

2 ـ مرحلة العمليات التمهيدية The Pre-operational Period

3 ـ مرحلة العمليات المحددة The Concrete operational Period

4 ـ مرحلة العمليات الصورية The Formal operational Period

يؤكد بياجيه أن الأطفال في كل مرحلة من هذه المراحل لا ينسخون ما يقابلهم في الحياة. أي أنهم لا يقلدون. وإنماهم يعيدون بناء الحقيقة في عقولهم اعتماداً على خبراتهم الخاصة من خلال تفاعلهم مع البيئة.

النزوع إلى (احتواء) الطفل كثيراً ما يتحول باسم التربية إلى حالة من الصراع المبكر بين نزعات الأطفال العفوية والتلقائية وبين سلطة الكبار التي غالباً ما تأتي مغلفة بالحب والحرص على مصلحة الطفل. الصراع لا يعني بالضرورة أن التربية والتدريب يقضيان على النوازع العفوية و التلقائية عند الطفل. إن التربية الجيدة يمكن أن تمنع هذا كله وذلك بأن تهدف إلى تعزيز وتوسعة مساحة الاستقلال الذاتي للطفل والتوجه المستقبلي عنده، وبهذا تكفل نموه السوي ووحدة شخصيته. غير أن الواقع الثقافي الذي يحيط بالطفل يميل غالبا إلى إلغاء التلقائية والعفوية في الطفل، وينحاز إلى استبدال الأفعال النفسية الأصيلة بمشاعر وأفكار ورغبات ملقنة من الآخرين ومقبولة منهم، وبهذا تبلغ عملية الاحتواء غايتها ويفقد الطفل ذاته.

يصور أحد علماء النفس المعاصرين عملية الاحتواء هذه على النحو التالي:

«إننا نعيش بين أفراد هم أنفسهم في حالة من الصيرورة ولذا فهم يضعوننا في حالة مستمرة من التكيّف وإعادة التكيّف. إننا نجد من حولنا آباء وأمهات وأصدقاء ومحبين يحاولون أن يشدوا وثاقنا وأن يشوهونا لنكون على الشاكلة التي يريدون من أجل راحتهم وهنائهم وهم يفعلون ذلك باسم الحب. إننا سوف نكتشف أن مجتمعنا يقسرنا على التوافق معه إلى درجة التطابق ويحاول أن يعصرنا في قالب ضيق من قوالبه. إننا سوف ندرك أن التربية في أغلب الأحيان تضخ فينا معارف لا معنى لها عندنا.. تعلمنا ما ينبغي تعلمه ولكنها لا تعلمنا كيف نستعمل المعارف التي نتعلمها. إننا سنكون واعين لمؤسسات تحاول أن تغسل أدمغتنا.. تملأنا بمشاعر الخوف والذنب والعار.. فلا عجب إذن أن نصرح بعجزنا الكامل عن تحقيق ذواتنا..»[2].

- 2 -

بإزاء هذه الإشكالية التربوية وتعقيداتها سيواجه مخططوا تربية الطفولة المبكرة والتعليم قبل المدرسي تحدياً صعباً حقاً لا يعين على اقتحامه وريادة الطفولة في معارجه إلا هندسة (منهجيةٍ غائيةٍ) ترسم مقاصد العملية التربوية كلها في هذه المرحلة الحرجة من حياة الأطفال.

هذه (المنهجية الغائية) تقع في سبعة مجالات تتوالى في السياق التالي:

---

1 ـ للتوسع في تتبع المراحل النمائية للطفولة المبكرة عند جان بياجيه تراجع كتابه:

PIAGE J., The Psychology of Intelligence, Routledge & KEGAN, London, 1950.

2 ـ Buscaglia, L. A., Personhood, P. 16, Fawcet Columine, New York, 1978.

المجال الأول ـ الصحة البدنية والنفسية :

ا.إثارة وعي الطفل بتركيبه البدني ومعرفة تشكيلته المتطورة ومكوناتها العضوية وعمل كل منها.

2 ـ تعليمه أهمية نظافة الجسد ونظافة البيئة التي يعيش فيها الإنسان وأسباب هذه الأهمية.

3 ـ تعليمه معنى النظافة وممارستها في الأيدي والوجه والجسد بعامة وقص الأظافر.

4 ـ تنظيف الأسنان والعناية بها.

5 ـ التغذية الجيدة وشروطها وأهميتها لصحة الكائن البشري.

6 ـ الرياضة وأثرها في صحة الفرد.

7 ـ اعتياد النوم المنظم وشروط الإنارة والضوء اللازم للقراءة واللعب من شروط الحياة المعافاة.

8 ـ إثارة وعي الطفل بأهمية العواطف الإيجابية في حياة الفرد وصحته العامة وعلاقاته مع الآخرين.. الحب ـ التعاطف واحترام الاخرين ـ الأمل.

9 ـ إثارة وعي الطفل بأضرار العواطف السلبية على الحياة النفسية السليمة للفرد مثل ـ الحسد ـ الكراهية ـ الغضب ـ الحزن ـ اليأس.

10 ـ أهمية النشاط والحيوية في سعادة الفرد وصحته العامة، وفي الجهة الأخرى مخاطر الكسل والخمول والتخمة والاتكال على الآخرين في قضاء حاجات الفرد.

المجال الثاني ـ المجال المعرفي والنمائي عقلياً :

أولاً ـ اللغة واكتسابها :

ا ـ التعريف بالرموز اللغوية... الكلمة المكتوبة رمزاً للكلمة المنطوقة ـ الحروف رموز للأصوات ـ الكلمات من حيث هي رموز مدمجة.

2 ـ الأسماء.

3 ـ لفظ الحروف ومقاطعها التركيبية.

4 ـ التنغيم (الأوزان).

5 ـ الألفاظ المركبة من أكثر من مقطع صوتي واحد (طاو...لة).

6 ـ تلاوة الحروف الأبجدية.

ثانياً ـ الأرقام :

1 ـ تدريب الطفل على تسمية الأرقام (1 ـ 20).

2 ـ تعليمه العد التصاعدي بالأرقام (1 ـ 20).

3 ـ تعليمه العد العكسي (التنازلي) للأرقام (20 ـ 1)

4 التراكيب الرقمية ـ يتعلم الطفل التراكيب الرقمية المألوفة لغاية خمسة أشياء ويعرف عدها المقابل.

5 ـ العمليات الحسابية ـ الجمع ـ الطرح ـ القسمة ـ الضرب.

6 ـ الأشكال الهندسية (المثلث ـ المربع ـ المستطيل ـ الدائرة).

7 ـ تسمية الأشكال الهندسية والتمييز بينها.

ثالثاً ـ تنظيم الإدراك :

1 ـ علاقة الجزء بالكل.

2 ـ المفاهيم العلائقية ـ تعليم الطفل كيف يعبر عن إدراكه لمفاهيم علائقية متعددة :

أ ـ التشابه حسب اللون أو الشكل الهندسي.

ب ـ علاقات الأحجام التفاضلية ـ صغير ـ أصغر ـ الأصغر ـ طويل ـ أطول ـ الأطول.

جـ ـ علاقات الموقع ـ تحت ـ فوق ـ أسفل ـ أعلى ـ في البداية ـ في النهاية.

د ـ علاقات الكم ـ قليل ـ كثير ـ أقل ـ أكثر ـ لا يوجد.

هـ ـ علاقات المسافات ـ بعيد ـ قريب ـ بعيد جداً.

ح ـ علاقات الزمان والمكان ـ قبل ـ بعد ـ أولاً ـ آخراً ـ أخيراً ـ فوق ـ تحت.

ط ـ علاقات التناظر والتنافر.. تعليم الطفل كيف يربط ما بين شيء محدد أو صورة معينة من بين مجموعة مختلفة من الأشياء وصورها وتناظراتها وتنافراتها في الشكل أو الحجم أو اللون.

3 ـ إعادة إنتاج اللغة المكتسبة عند الطفل للأغراض التالية :

أ. زيادة ثروة الطفل اللغوية.

ب. مساعدة الطفل على فهم ما يسمع.

جـ. تدريب الطفل على ترجمة انفعالاته بالأشياء لغوياً.

د. الارتقاء بطريقة التعبير عند الطفل.

المجال الثالث ـ التربية على التفكير العلمي :

1. إثارة وعي الطفل بأن لكل حدث طبيعي سبباً أو أسباباً تجعله يقع بالكيفية التي يقع بها وأن معرفة السبب أو الأسباب المحدثة تؤدي إلى التعامل الأفضل مع الظواهر الطبيعية. تؤخذ الشواهد أو الأمثلة الإيضاحية في هذه المرحلة من الظواهر الطبيعية المألوفة كالمطر.. وتمثيل وقوعه بمثال البخار المتصاعد من الماء المغلي وكيفية تكثيفه وتحويله إلى ماء باصطدامه بجسم بارد.

2. إثارة وعي الطفل بوجود القوانين المنظمة لعمل الطبيعة وثبات هذه القوانين (الجاذبية والمغناطيس مثلاً).

3. إثارة وعي الطفل بأهمية اكتشاف هذه القوانين وتعلمها كوسيلة للسيطرة على الطبيعة وجعلها في خدمة الإنسان (الطوفان مثلاً دفع الإنسان إلى التفكير في بناء السدود والخزانات المائية وما نتج عن ذلك من حسن استخدام الموارد المائية لخير الإنسان).

4. إثارة اهتمام الطفل بأسلوب التحليل والتعليل في مواجهة المشكلات الحياتية.

المجال الرابع ـ الآلات والمكائن والتكنولوجيا :

1. إثارة وعي الطفل بحداثة وجود الآلات والمكائن في حياة الإنسان المعاصر وكيف كانت اليد الإنسانية تقوم بالأعمال في الماضي.

2. توجيه انتباه الطفل إلى أن الإنسان هو مخترع الآلات والمكائن.

3. تعريف الطفل بدور الآلات والمكائن بالتخفيف من الجهد البدني الذي كان الإنسان يبذله في عمليات البناء ونقل المواد (مثلاً.. اختراع العجلة ودوره في تيسير تنقل الإنسان وحمل أثقاله).

4. تعريف الطفل بدور الآلة في زيادة الإنتاج وعلاقة هذه الزيادة برفاه الإنسان وزيادة أوقات فراغه التي استثمرها في تطوير قدراته العقلية والفنية والتقنية.

5. تحريك اهتمام الطفل بالكيفية التي قادت إلى ظهور التكنولوجيا المعاصرة.

6. تحريك اهتمام الطفل بدور التكنولوجيا بتطوير الإنتاج «كماً ونوعاً» وتسريع أداء الإنسان لعمله، ودورها في تعميم الرخاء على أفراد المجتمع عامة (مثلاً.. حلول غسالة الملابس الآلية محل استعمال اليد الإنسانية في غسل الملابس ونتائج ذلك في حياة سيدات البيوت).

7. تعريف الطفل بكيفية الانتقال من تكنولوجيا الإنتاج إلى تكنولوجيا المعلومات.

8. تقديم الطفل إلى تكنولوجيا المعلومات وأدواتها الرئيسية. الكمبيوتر. تقديماً يتناسب والقدرة المتخيلة عند الطفل.

المجال الخامس. المجال الاجتماعي والاقتصادي :

ا. تقديم الطفل إلى الوحدات الاجتماعية الأساسية من حيث هي أساس انتمائه.

أ. العائلة والبيت.

ب. الجيران والجوار.

جـ. المدينة أو البلدة التي يوجد فيها ونوع العلاقات التي تربطه بها.

2. التفاعل الاجتماعي

أ. معنى الاجتماع الإنساني وأساسه التعاوني.

ب. العمل أساس الرابطة الاجتماعية بين أفراد المجتمع والبشر عموماً.

جـ. قيمة الإنسان فيما يعمل وما يقدمه إلى الآخرين من خدمات لقاء الخدمات التي يقدمونها إليه.

د. من طبيعة الاجتماع الإنساني أن تنخلق فيه حالات من الخلاف والتباين في المصالح وفي وجهات النظر والاعتقاد وهذه تتطلب طرقاً راقية للتوفيق فيما بينها وحسم الخلافات التي تنجم عنها.

هـ. حسم الخلافات والتوفيق بين وجهات النظر يتطلبان معاملة الآخرين بمثل ما نتوقعه منهم نحونا من الاحترام والتعاون.

و. الدين والقانون.. هما المصدر الرئيسي لتعليمنا احترام الآخرين والتعاون معهم وحفظ حقوقهم.

ز. تقوية روح الانتماء إلى المؤسسات الاجتماعية العاملة لخير المجتمع كله.

ح. إثارة وعي الطفل بأهمية أن يكون الإنسان منتجاً لضمان حاجاته الاقتصادية وما يتفرع عنها مثل اكتساب المال الذي نستطيع بواسطته الحصول على حاجاتنا المعاشية والخدماتية.

ط. بيان أهمية المال من حيث هو وسيلة لتنظيم التعاون بين الناس وتفعيله.

المجال السادس ـ المجال الوطني:

ا. تعريف الطفل بـ (الوطن) من حيث هو انتماء ومشاركة مع الآخرين في عملية الحياة نفسها.

2. توجيه انتباه الطفل إلى أن (حب الوطن) يعني حب (المواطنين) بصرف النظر عن أصولهم ومعتقداتهم ومراكزهم الاجتماعية.

3. تعريف الطفل بالتكوين (المؤسساتي) للوطن.

4. توجيه اهتمام الطفل إلى تكافؤ المواطنين في القيمة السياسية وفي الحقوق والواجبات أمام القانون.

5. تقديم (الوطن) كهوية عليا إلى الأفراد، وما عداه هو (الهويات الصغرى).

المجال السابع ـ التربية الأخلاقية:

ا. توجيه تفكير الطفل إلى مصدرية الدين والتراث الاجتماعي في التعامل الأخلاقي بين أفراد المجتمع.

2. توجيه تفكير الطفل إلى وجوب احترام حقوق الآخرين ومصالحهم ومشاعرهم أساساً للسلوك الأخلاقي في الهيئة الاجتماعية.

3. تزويد الطفل بإحساس أولي عام بأن لكل شيء صانعاً وأن صانع الإنسان والكون هو الله تعالى.

4. توجيه انتباه الطفل إلى أن معرفة الله من خلال بدائع صنعته هي السبيل إلى معرفته معرفة حقيقية.

5. تعريف الطفل بأن رضا الله تعالى ينال بطرق مختلفة ومن بينها ومن أوضحها عمل الخير للناس الآخرين وبالصدق في التعامل معهم والإيثار لهم وحمايتهم من

الاستغلال والتمييز ضدهم.

6. إننا لا نكون أخلاقيين فعلاً إلا عندما (نعرف) الخطأ ونتجنبه وإلا عندما (نعرف) الصواب ونفعله.

كلمة أخيرة

المجالات السبعة المتقدمة هي مبادرة إلى إعطاء فكرة (المنهجية الغائية) كياناً نظرياً محدد المعالم، ولكن ينبغي أن نلاحظ أن هذا الكيان ليس حصرياً وهو مفتوح للتحوير بشرط أن يقع التحوير ضمن الرؤية العلمية الضابطة لهذه الدراسة بكاملها. هذا من جهة، ومن الجهة الأخرى فإن هذه (المنهجية الغائية) لا يمكن. وليس المقصود. تنفيذها بالطريقة التعليمية التقليدية، إنما المراد بها ومنها أن تكون عصفاً ذهنياً هادياً إلى صنع تقنيات تعليمية مبتكرة تتوافق مع متطلبات التنشئة العقلية والنفسية والسلوكية لأطفال مرحلة التعليم قبل المدرسي والطفولة المبكرة.